خليل مردم بك الشاعر

بقلم الدكتور جميل صليبا

عميد كلية التربية بجامعة دمشق
وعضو المجمع العلمي العربي



ذكر خليل مردم بك ذكر معه الصدق والوفاء ولطف الاخلاق والاباء والمرؤة . فقد كان رحمه الله زكي النفس حسن العشرة صادقا فى قوله وعمله متوددا محببا الى كل من يكلمه وكان صاحب اخبار ونوادر وله معرفة باحوال الناس وهو كأسمه خليل وفي ، لم يقدم نفسه على غيره فى النفع ولا تعاطى امرا الا وجاء فيه مبرزا . وكل من انس بصحبته اعترف بفضله ودماثة طبعه ومرونة تفكيره ولين عريكته . وهو الى ذلك قوي الارادة ذكي الفؤاد مرهف الحس جيد الحكم واسع الخيال حسن الثقافة فصيح اللسان حلو الحديث يحب الضبط فى الافكار والدقة فى المعاملات ويكره الشذوذ والاغراب فلا يحدثك الى عما ترغب فيه نفسك ويستمتع به خاطرك يحدثك عنه فى اتزان وهدوء وتأن وصبر ودعة واذا حدثك عن الناس لم يذكر لك من اخبارهم الا ما فيه مثل وعبرة لانه على ولعه بالاخبار لا يميل الى النقد والذم ولا يلذ له الحديث الا اذا كان منزها عن الايذاء والنميمة وقلما سمعته يحدثك عن نفسه واخباره او عن شعره ونثره او عن مشكلاته واحزانه لانه على رغبته فى التنفيس عما فى قلبه لا يحب ان يحزن قلبك ولا ان يؤذي سمعك ولا ان يتعاظم او يتكبر عليك . لذلك احبه الناس وقدروا فضله لعلمهم انه مجبول على الخير لا يوذي نملة ولا يجرح احساسا ولذلك ايضا خلا شعره من الهجاء الا فى مواطن القدح على المستعمرين والانحاء باللائمة على المتصاغرين امامهم .

وكما خلا شعره من الهجاء فكذلك خلا من ذكر المجون والعبث واللهو ووصف اللذات الحسية فهو لا يتفنن فى وصف الرقص الا ليقول ان الرقص لهو ولعب يهون به كل صعب وتيسير فيه كل عسير ولا يصف مجالس الشراب الاليطلب من الله ان يغفر له زلات الصبي ويتقبل منه التوبة وانه لشاعر لطيف النفس مثله ان يتغنى بالشهوات الجامحة وان يلوث صوره الفنية الرفيعة بادران الوحل والدم . ان احساسه المرهف لا يريد فى الطبيعة الا الالون الجميلة والالحان العذبة والحركات اللطيفة فيحدثك عن الرياض الزاهرة والخمائل الوارفة والجحيم المتموج والطيورالصداحة والغدارن المائرة ويعرض على الصخور الصماء والبراكين الثائرة والجبال الشاهقة والزلازل الهوجاء والصحارى الساكنة .

واحب الفصول الى قلبه فصل الربيع لانه الطف فصول السنة لانسجام الوانه ورقة صوره وعبق ازاهيره واعتدال حرارته اما برد الشتاء وحر الصيف واحتضار الطبيعة فى الخريف فليس لها فى شعره اثر لانها صور قاسية لاتستطيع نفسه اللطيفة ان تتمثلها فهو اذن يحب الطبيعة الجميلة لا الطبيعة المخيفة واذا كان يصف البحر على شدته وقسوته وخوفه منه فمرد ذلك الى ليونة البحر وكثرة الوانه وحركاته على خلاف الصحاري الساكنة والرمال الظامئة فانها على قربها من دمشق لم تأخذ بشغاف قلبه ولم تسترع انتباهه .

نشأ فى بيت كريم وفر له من الوجاهة ونعمى العيش ما مكنه من الاستغناء عن التكسب بعلمه وادبه واعانه على تثقيف نفسه ثقافة كاملة جمع فيها بين محاسن الادب العربي والادب الغربي فهو وجه دمشق الحق ، وشاعر الغوطة الملهم ، وعالم الشام الفاضل ، تتمثل فيه طبائع اهل الشام على احسن وجه واتم صورة .

وابواب شعره على كثرته قليلة طغى عليها باب الوصف فى الطبيعة والفن فليس له فى الحكمة والرثاء والاجتماع الا قصائد معدودة وليس له فى المدح والفخر الا ابيات قليلة اتت ضمن قصائده المختلفة ، على ان له قصائد كثيرة فى الحماسة الوطنية والنسيب واخرى فى الحنين الى دمشق والتفجع على فراقها ذكر فيها مسارح صباه ومعاهد انسه لم اجد بين شعرائنا المعاصرين شاعرا وصف غوطة دمشق كما وصفها خليل مردم بك فهو يصور رياض الغوطة وازاهيرها وجداولها وخمائلها تصويرا دقيقا مفعما بحنان القلب واحاسيس النفس وهو يحن اليها حنين العاشق الى معشوقه يلقاها بوجه باسم ونفس متعطشة الى شذى رياحينها فيشجيه عبق الزهر وساجع الطير وانسياب الغدير وتعانق العصفور فيقف امام الطبيعة وقفة المسحور يعاطيها احاسيسه وتعاطيه صورها ولا يصورها الا بعد ان يغمس ريشته فى مداد قلبه ولا ينثر فى سمائها احلام نفسه وهوى فؤاده الا ليتحد بها اتحاد الصوفى بمعبوده فكأن نفسه مرآة تعكس اسرار الطبيعة وكأن الطبيعة صورة من صور نفسه . والدليل على ذلك انه يشبه صور الطبيعة بآثار النفس الانسانية : فللزهر مقلة وسنى وخد ناضر وثغر باسم وجفن حائر وجبين يعرق ويرشح كما يرشح السكر حياء وللغصون اذرع ممدودة للتعانق وللرياح تأوه وللاطيار حركات تحكي حركات القيان الراقصة وتغريد يشبه الحان المغنين كأن الطبيعة التي يصفها كائن حي له قلب يدق وعرق ينبض ، وانفاس تتدفق .

كان يحب التجول بين خمائل الغوطة بخطى حائرة فلا يقف عند مجتمع ماء او مشتبك رياض يمتع ناظره بما يراه من صور الجمال الساحر فلما وصف نهر بردى طاف

بواديه من منبعه ألى مصبه عدة مرات فكأن يسمع غمغمة النهر وهزجه وترنيمه ويرى انسرابه وزبده اللجب واستدارة مجاريه ورشاقة المثبوت هنا وهناك كالفراش او كشـول النحل او كالوابل السماح فى مهب الريح او كعقد الدر في نحر الفانيـة فأحس وهو يصف هذا النهر بنفحات الروح تهب عليه وبالنهر يمد اناملة اليه وبالشمس ترسل اشعتها على الرياض لتلونها باصباغها الجميلة فانتزع من ذلك كله صورا حسية مزجها باحلام قلبه ورؤى نفسه .

ان لجميع الحواس اثرا فى هذا الوصف ولكن اعظمها تأثيرا فيه حاستا السمع والبصر لانها ادق الحواس ولانهما تكشفان عما فى الاشكال والحركات والالوان من توازن واتساق وانسجام .

فمما يدل على اثر حاسة البصر فى شعر خليل مردم بك انه اذا وصف الزهر جاءك بصورة بصرية متميزة تشبه الزنبقة بخود شمرت عن ساقها لتستقي الماء او بعذراء وضاءة الجبين تسربلت بغلالة من استبرق فكأن الزهرة فى نظره فراشة بيضاء وكأن اطباقها انامل او جفون طويلة الاهداب وهو فى ذلك يقول :

كم زهرة رفت نخلت فراشة بيضاء رف جناحها بترفق

واذا وصف الشمس عند شروقها شبه احمرارها بشعلة نار علاها سحاب من الدخان فاذا بدت فى السماء عارية أعشى سناها كل ناظر ومسح نورها دموع الليل عن وجنة الازهار ولج فى تقبيلها حتى تحمر خدودها كما تحمر خدود العاشقين فكأنها مرآة لاح على صفحتها نور وجه الله وكأن اشعتها المخترقة جسم الغيم ظبي دامية اذا سفرت بسم كل شيء واذا احتجبت عبس الجو اكتئابا وبكاها من وجد بدموع المزن واذا ما غربت فى الافق عند المساء رأيت نهرا من النور تموج فيه الالوان وتتراءى من خلاله صور الاشياء كما تتراءى ظلال الراح كأن الافق ستار سينما او اشباح افلاح او كأنه بحر مائر أو بركان ثائر حتى اذا جاء الليل رأيته يزحف حبوا كأنه مد بحر ساكن وكأن نجومه زهرات ذات اكمام .

ومما يدل على اثر حاسة السمع فى شعره انه اذا وصف الطير اسمعك سجعه وتغريده فتسمع الحمائم تهدر وتنوح كالثواكل وتحس بتفجعها وهتافها وبكائها كأن سجعها نوح الحزين وكأن غزلها وتهدارها وقرقرتها صوت زامر ينفخ فى الرقص . فمن قوله فى وصف الورقاء :

ورقاء ذات تفجع هتفت فغاضت ادمعي

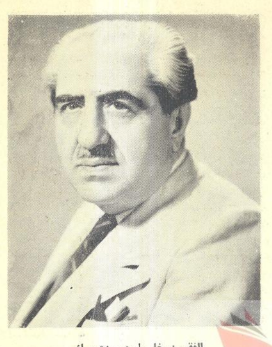
ومن قوله فى وصف الغوطة :

تتجاوب اطيار فى افنانها من هاتف او ساجع او صافر

ومن قوله فى وصف بردى :

ما مر فى بقعة الا وخاطبها طورا بغمغمة طورا بافصاح

ومثل ذلك كثير فى شعره الا ان اثر حاسة البصر فيه أقوى من اثر حاسة السمع ومع انه كان يحب الطير ويطالع الكتب التي تصف حياتها ومواطنها واخلاقها فان وصفه لتغريدها اقل من وصفه لالوانها وحركاتها .



الفقيد خليل مردم بك

⊙

اعجب بانسجام الحركات اعجابه بانسجام الالوان والاصوات فوصف حركات الراقصين ورفرفة الطير وكره وفره وذبذبة ذيله وتدويم الفراس صعودا وهبوطا وانطلاقه وتزاحمه فى الفضاء كأن الطير وهو يضرب بأجنحته النسائم راقص يرسم بحركاته الالحان فيوحد صور السمع والبصر ويمزجها بعضها ببعض فمن وصفه بل قوله فى وصف حركات الفراشتين :

أفاين من الحركات زاغت لها عيني وعي بها بياني

وان احداهما انطلقت فجدت بمتن الريح مطلقة العنان

ترى الاخرى تزاحمها اعتراضا أفي رحب الفضا تتزاحمان

ومما يسترعي الانتباه ان لحاسة الشم فى مواطن شعره اثرا لا يقل عن اثر حاسة السمع كقوله :

عبقت فى الكاس من انفاسها نفحة تهدي الى الندمان روحا

وقوله :

يا عجبا لطيب ريح الترب اذا تندى بدموع السحب

فهو يحب روائح دمشق ويشعر عند شمها بالنشوة تدب فى قلبه وكم مرة ود لو مرغ وجهه فى تراب دمشق ليشم رائحته الزكية لقد اعطته الغوطة كل شيء اعطته الصور الحسية التي اثرت فى خياله واعطته الاحاسيس والمشاعر التي صاغ فيها هذه الصور وليس المهم ان ينتزع الشاعر صوره من الطبيعة وانما المهم ان يعبر عنها تعبيرا دقيقا يجمع بين متانة الاسلوب وسهولة اللفظ وعذوبة المعنى وشعر

خليل مردم بك فى الوصف يشبه بعضه بعضا فى قوة التعبير وجزالة المعنى ودقة التشبيه قيل له مرة انك تكثر من وصف الصور الحسية ولا تصف شيئا من الصور النفسية التي تختلج فى صدرك فقال : اني لا اصف الصور الحسية الا لانها رموز تعبر عن رؤى قلبي واحلام نفسي فهو اذن لا يتفنن فى وصف الصور الحسية الا ليطل من خلالها على صور نفسه والدليل على ذلك انه كان يضمن وصفه الحسي كثيرا من الشوق والحنين كقوله بعد ان وصف البحر :

قلت للسرب وقد اقبل من ... افق ، قلبي به عان رهين
ايها القاطع عرض البحر هل ... لك عهد بروابي قاسيون

وكقوله فى وصف الغوطة :

مرآة احلامي ومرتع صبوتي ... وهوى فؤادي بل ومتعة خاطري
فى كل مغنى من فؤادي شعبة ... وبكل واد هائم من خاطري

ولعل احسن دليل على ما ترمز اليه صوره الحسية من معان عقلية قصيدتان الاولى قصيدة : (قالت لي السمراء) والثانية قصيدة (يا ليتني) ففي القصيدة الاولى يصف الشاعر شروق الشمس فوق البحر من وراء السحاب فى يوم مطير هبت فيه الرياح الهوج وطغت أمواجه وقصف رعده وومض برقه فيصور الوان الافق بعد الصحو واشباح السحب واشلاءها المتناثرة فى السماء ويردد ما قالت له السمراء ما بين السطور فيقول :

قد يكون اللحن والاعياء ابدى للضمير

وفى القصيدة الثانية يتكلم عن نفسه فيقول :

يا ليتني لما شربت الكأس حرفا لم اثن

اوليتني لما انتشيت من المدامة لم أفن

او انني لما ارتويت تركت شيئا للتمني

وهنا نلمس الميزة الاولى لشعر خليل مردم بك وهي اتخاذه الصور الحسية وسيلة رمزية للتعبير عن رؤاه واحلامه اثرت الطبيعة فى خياله فأفاض عليها صورا نفسية صبها فى الالفاظ الجميلة وصاغها كما يصوغ الخزاف الطين فجاءت مفعمة بسحر الجمال . انه يعبر عن الاحساس الجميل باللفظ الجميل ولا يتصدى لتصوير القبيح او التافه او الخسيس :

تصباني الجمال وفى الفؤاد هواه منغرس

انه يحب الجمال لانه مرآة ينعكس عليها وجه الله لا بل هو ظل الله وقبس من نوره انه يلمحه من وراء الصور الحسية فيبصر الوانه بعينيه ويسمع الحانه بأذنيه ولكنه لا يستطيع ان يحده بما يرى ويسمع لان هذه الاعراض الحسية زائلة وجوهر الجمال خالد وغاية ما يطمح اليه ان يصور هذه الاعراض لعله اذا احسن تصويرها يستطيع ان يكشف عن جوهر الجمال الحقيقي والجمال لا يتجلى فى انفاس الزهر والوان الربيع وتغريد الطير فحسب بل يتجلى ايضا فى وجه المرأة وقدها ورشاقتها وسحر عينيها فصورة المرأة فى نظره اجمل صورة فى الطبيعة سحر الجمال الحق من سحر عينيها ووحيه من وحي جفنيها لا بل ان رحيقها الذ من الخمر وانفاسها اطيب من انفاس الربيع فلا غرو اذا ملأ حبها قلبه فتغنى بجمالها ووصف حبه وشوقه اليها وعذره فى هواه انها جميلة وانه لا ذنب له فى غرامه بها .

ان كان ذنبي انني بك مغرم ... فعلام حسنك فتنة للرائي

واكثر شعره فى النسيب يرجع الى زمان الصبى وهو الزمن الذي تفتحت فيه قريحته عن سحر الجمال فلما خبت نار حبه اتجه الى الطبيعة وطرق أبوابا مختلفة من الشعر ، الا انه عاد الى وصف المرأة فى قصيدة عنوانها (واها لايام الشباب) وهي اخر ما نظمه .

وهو يرى ان الشاعر يتلقى الوحي من سماء الخيال فيعي سر الوجود والعدم ويمثل الصور العلوية بالالفاظ فاذا شاهد احمرار الشفق قال هذا نجيع الشهداء واذا سمع هزيم الرعد قال هذا صراخ البائسين فمن لم يكن صوغ القوافي سجية له فلا يتعب نفسه بخوض بحور الشعر لان ميزان الشعر هو الطبع وسحره هو الالهام .

فلم يبق بعد الوحي من نبأ السما ... الى الارض غير الشعر معجزة كبرى

ومتى ادرك الشاعر هذه المنزلة من السحر غمرت نفسه الطبيعة والمجتمع فتغنى بالشعور القومي والشعور الانساني معا وعمل على اصلاح حياة الانسان لذلك اهتم خليل مردم بك بالنواحي القومية والانسانية اهتمامه بوصف الطبيعة : قال فى قصيدة الشعر :

اذ لم ينبه شاعر القوم قومه ... فذاك بأن يشقى به قومه احرى

فلا يكون الشاعر شاعرا اذا الا اذا نبه قومه وايقظهم من سباتهم فذكرهم بامجادهم القديمة واذكى حماستهم واطلعهم على نقائصهم . واي فضل لشاعر عربي معاصر لا يرثي شهداء العروبة ولا يتغنى بالاستقلال ولا يدعو الى الثورة على الاستعمار ولا يقدس الوحدة العربية الكبرى لقد جمع خليل مردم بك فى شعره الحماسي بين هذه الاغراض كلها فبكى على الشهداء :

يا دين قلبي يوم ورى كبدي ... وطال همي لذكراه وتسهادي
فى ميسلون من الاشجان سلسلة ... نيطت باطرافها أرجاء ارواد

ودعا الى الثورة والنضال :

بني العروبة كم من صيحة ذهبت ... لو يستثار بها الموتى اذن ثاروا
يا ليت شعري ماذا يستفزكم و ... كم ارسلت شررا بالقدح احجار

ووصف الثورة السورية فقال :

مصيبة ميسلون وان امضت ... اخف وقيعة مما تلاها
نما من بقعة بدمشق الا ... تمثل ميسلون وما دهاها

ودعا الى الوحدة العربية :

فكيف ترجي جمع قيس ويعرب ... وشملك يا هذا شتيت مفرق

ويرى ان انقسام الوطن مخالف لطبائع الاشياء :

بلادنا ويد التقسيم تعلقها ... كأنها رقعة ينتابها حلم

ويرد على الذين يزعمون ان اختلاف الاديان يمنع من تحقيق الوحدة العربية فيقول :

قالوا وفى الدين بون دون وحدتنا ... الى متى باسم هذا الدين نقتسم
لئن أصروا على اهواء انفسهم ... لا الدين ولا الدنيا ولا الشيم

فشعره الوطني يريك انه كان يعبر عن منازع امته احسن تعبير تؤثر فيه الاحداث التاريخية فتارة يصف الفتح العربي وتارة يخاطب اللجنة الوطنية العليا وتارة يدعو الى النضال والوحدة واكثر شعره الوطني يرجع الى ايام النضال ضد المستعمرين .

ويعجبني من شعره الاجتماعي قوله فى الطفل :

ولدا المرء اذا انصفته ... وتدبرت مربي الوالدين
ولدى شطر فؤادي انما ... بك انشاءالله خلقي مرتين

وقوله فى ولد الولد :

احب اولادك من ... انت له اب وجد
اسبابه اكثر فى القربى ... واعلى واشد
ليس احب من ولد ... للاب الا ابن الولد

فالطفل فى نظره امل باسم لا بل هو صورة من صور الله خطت يد الله على وجهه آيتين من الطهر والبهاء وهو زينة العيش والساعد المسعد والعون المرتجى ومن حق ابائك فى احسانهم اليك أن تربي طفلك تربية صالحة .

على ان عناية خليل مردم بك بأسرته لم تكن اشد من عنايته باصلاح الفساد الاجتماعي مارس التعليم عدة سنين فنشأ تلاميذه على تذوق الجمال والحق والخير ، ودعا الى تهذيب الفتاة وذم من يتمسك بالقشور من رجال الدين وانتقد العادات الفاسدة ونادى بضرورة الاخذ بما جاء فى الحضارة الغربية من قيم صالحة .

وشعره الاجتماعي متصل بشعره الانساني اثرت فيه حوادث الحرب العالمية الاولى فوصف الجوع والفقر والمرض وصور المحزون والبائس واليتيم والاعمى وتكلم على الحرية والحق والانصاف والسلام . ومن احسن ما قاله فى الحرية مخاطبا (شهيد ايرلندا) :

كأنك من ذوي قرباي لما ... رثيتك باكيا نظما ونثرا
ولم تك ذا ولاء في معد ... ولم تبلغ بك الاجداد فهرا

ومن قوله فى وصف المحزون :

ورأى الظالم لا يرقب فى المظلوم ذمه
فبكى حزنا لمن عرى عن عدل ورحمه
اي شيء هو اغلى من لآلى الادمع
هل رأت عيناك درا غيرها فى الاعين

فالدموع عنده اغلى من المال لانها تكشف عن ظلال المحن وثروتها لا تنفد والظالم الذي لا يرعى ذماما اشقى من المظلوم .

ومن شعره الانساني قوله فى قصيدة عنوانها اغاثة البائس :

صنع الجميل وفعل الخير ان اثرا ... أبقى وأحمد اعمال الفتى أثرا
لو أعوز المال اصحابي سقيتهم ... دمي ولست على العلات معتذرا
ما راض جامح نفسي للقريض سوى ... معنى الحنان ومعنى البؤس اذ خطرا

ومثل ذلك كثير فى شعره انه يعارض الحكم بالاعدام لانه قتل

وقاتل النفس لو صحت عدالته ... كمن يداوي بفقء المقلة الرمدا

وليس يملك فك الروح عن الجسد الا الذي خلقها واذا كان الانسان يظلم اخاه الانسان فمرد ذلك الى الشر المتدرج فى طبيعة الوجود ، ومن خبر دهره ازداد شؤما على شؤم الا ان الشاعر لا يستسلم لليأس بل ينقذ نفسه من التشاؤم بالالتجاء الى رحمة الله لان الله خير واليأس من رحمته كفراننا لا نعرف الله الا بأثاره فهو المصور المنشيء وهو المبدع والمبقى ، ولكننا لا نعرف حقيقته ولا حقيقة الروح والحياة ولا معنى الوجود والعدم ولا معنى الجبر والاختيار وغاية ما يطمح اليه الشاعر ان يعبر عمله بالذوق لا بالنظر العقلي :

الذوق والوجدان والمعقول ... والحب آيات سمت وفصول
اما الجمال فانه تمثيل ... يدنو به التفسير والتفصيل
عرض صفا فاضاء منه الجوهر
هل فاز بالايمان من لم يجحد ... فالعين لا تغفو اذا لم تسهد
لم يدر معنى الخفض من لم يجهد ... والماء لا يلتذه غير الصدى
والفجر من خلل الدياجي يسفر

وهكذا يصور لنا الشاعر تجربته الفلسفية وشكه فى حقيقة الروح وفوزه بالايمان بعد الشك واعتماده على الذوق والوجدان فى ادراك حقيقة الجوهر واذا اعتمد الشاعر على الذوق ادرك ان العالم كله ديوان شعر وان صوره الحسية رموز واعراض يتلألأ فيها الجمال وان الكائنات جميعها تصلي لله وتسبح وان الشعر الهام وغناء وسحر .

لقد ظل خليل مردم بك يتغنى بسحر الجمال كل ايام حياته فلم ينقطع عن الغناء الا فى فترات معدودة وهي فترة اقامته فى لندن وفترة حزنه الشديد على وفاة ولده هيثم وفترة تقلده الوزارة ولكنه كان خلال هذه الفترات يملأ قلبه من الاحساسات والتجارب حتى اذا تخمرت نظمها فى سلك من اللآلىء الجميلة .

والجميل فى شعره انه يدل على اخلاقه وشخصيته وينم على طبعه ولطف نفسه فهو لا يتكلف النظم ولا يقول الشعر الا للتعبير عن احاسيسه ومشاعره واذا كلف النظم فى بعض المناسبات ولم يكن عنده ما يقوله أمتنع عن القول .

وكان على نبل اسرته ويساره وعلمه وادبه وشاعريته زاهدا فى الاعتداد بالنفس يغلب عليه الجد والتعاون فلم يكن مختالا ولا فخورا ولا سبابا ولا طعانا ولعل غلبة الجد عليه جعلته شديد الكتمان شديد الانطواء على نفسه كأن هناك صراعا عنيفا بين باطن حياته وظاهرها بين الانفعالات الشديدة التي تحتدم فى نفسه والدعة والاناة واللطف

ـ التتمة على الصفحة ٣٩ ـ

النجـــم الهـــاوي

●

القصيـدة التـي رثـى بها الشاعر والـده
الفقيــد خليـل مـــردم بـك



عـدنان مـردم بـك

مالـي اعـلـل خـافقا بامـان   والنصـل يفري قاطعا بجناني
اقول صبرا والحوادث اوهنت   جلدي وقد لجم المصاب لساني
استصرخ الاحلام وهي كواذب   لا تنقـع النيران من ظمـآن
وامـد للذكرى يدا مستجديا   فـاذا يدي تطوى على الحرمان
واذا اتيت العقل أطلب عنـده   سبـل العزاء لوى يدا وثنانـي
واشار من طرف يقـر بعجزه   عن ان يحيـر لسائـل ببيان

ابتـي ويـا لهفي عليك ممددا   فـوق الفراش تغص بالاشجان
والداء يفري الصدر منك بمنسر   آنا وينشب مخلـب الحيـوان
وتدير العواد عينـــا سمحة   فيها الرضى والحب ممتزجـان
وهششت تكتم غصـة محمومة   ملء الضلوع كجـامح النيران
آثرت كتمان الاذى ولـو انـه   عبء ينـوء بثقلـه القدمـــان
وتهون الداء الوبيـل وخطبـه   لمسـائل متوجـع ولهـــان
واذا تملـك الشجا لم تنفـرج   شفتاك عن سخط وعن اضغان
قابلت حكـم الله دون تبرم   فيما قضى وصبرت عن ايمان
ووقفت اطرق صامتا من غصة   نشبت سليب اللب كالنشوان
اخشى عليك الحادثات وليس لي   عن درء ما اخشى عليك يدان
ويهزني الالم الدفين فارتمـي   متحسرا لنهـايـة الانسـان
لو كان من موت حنان واقيا   لوقاك من شرك المنون حنـاني

لله قلبك لم تكن اعواده   خوارة فى طارىء الحدثان
رام الجليل من الحياة ولم يجد   في الصعب ما يعيا به الكتفان
واستهل الخطب الجليل لعلمه   ان العلى لا تجتنى بامان
واستعذب المر الممض وطالما   صحب الدجى فى وحدة الرهبان
فكأن قلبك شانىء لا يرتضي   لك بالسلام وراحة السلوان
انف الخسيس من الحياة وعافه   شمما ولم يخنع الى سلطان
ومرد اوجاع الكريم شعوره   والقلب علة مصرع الفتيان
لما اتيت المجد تقرع بابه   كنت الزعيم وفارس الميدان
وفتحت ما استعصى بقول محكم   وبسحر ما اوتيـ. من تبيان

يا شاعرا نذر الفؤاد لشامه   اوفيت نذرك دون ما بهتان
قلب بحب الشام فاض حنينه   وانهل منسكبا بسحر بيان
لك فى دمشق من القصيد عرائس   كالحور فى سحر وفى احسان
وشبابهن على المدى متجدد   كالدهر لا يبلى على الازمان
غنيت غوطتها فصفقت دوحها   طربا ومال يميس كالسكران
ومضيت تستقصي الدقيق معددا   فيها خفي السحر والالوان
وكشفت عن خافى الجمال مبينا   ما دق واستعصى على الاذهان
واعدت فى سحر البيان لقارىء   فتن الربيع وروعة الالحان
ونفخت فيها الروح فانتفض الثرى   حيا يتمتم ناطقا بلساني
واذا الربيع تواكبت اعلامه   من ابيض زاه واحمر قان

فى كل ميدان جريت مسابقا   اعجزت من جاراك فى الميدان
لك فى النسيب من القصيد قلائد   راحت محلقة بكل جنان
ما شك سامعها بان بيانها   من نفحة التنزيل والفرقان
واذا وصفت أتيت شيئا معجزا   فى الخلق والابداع والاتقان
صور تكاد بسحر ما صورته   لمشاهد تحكي بغير لسان
(برداك) يصخب زاخرا ومصفقا   فى سيره ويخب كالفرسان
ما كان يقبض كفه عن ظامىء   متعللا بالجدب والنقصان
يمناه بالنعمى تدفق سيلها   وانهل يحكي الغيث فى تهتان
واخال ما صورت من طيف الهوى   يومي الي بناعس الاجفان
عريته عن مطرف وكسوته   من ميعة للحسن ذات معاني
فمضى يلملم من ذوائب شعره   خصلا على خصر كمائس بان
والليل فى سود المطارف لا يني   فوق الاباطل مطبقا بجران

كم عالم عجب بشعرك زاخر   بالحب والالحان والالوان
دنيا القريض غنية وكريمة   ان ضاقت الدنيا على انسان
ما مات انسان له من شعره   ما ابدعت كفاك من أكوان
هيهات يطويك الفناء بزاخر   من يمه فى هوة النسيان
وبكل قلب من بيانك اسطر   نقشت لاعجاب بغير بنان

ما يبتغي الاخوان من قيثارة   بيدي وقد عصف الاسى بكياني
انا ان سكت وعي مني مقول   نطق البكا وتكلمت احزاني

دمشق   **عدنان مردم بك**



الدكتور حكمة هاشم

اضواء على فن خليل مردم

بقلم الدكتور حكمة هاشم

مدير جامعة دمشق وعضو المجمع العلمي العربي

لئن صح قول الجاحظ : « الشعر صياغة ، وضرب من النسج ، وجنس من التصوير (١) » فان خليل مردم بك كان شاعرا على ما رضيه امام العربية الاول ! فقد اتقن الصوغ ، وجود النسج ، وبرع في التصوير ...

ولئن شاء الدارسون ان يتحدثوا في يوم الذكرى هذا عن رئيس مجمعنا الراحل ناقدا ، واديبا ، وراوية ، ولغويا ، ومحققا ، وشاعرا ، وانسانا ، (فقد كان المرحوم كل اولئك) ، لانا مستأذن ان اتحدث عنه مفنا صناعا نفذ الى اسرار فنه ، وملك قياد صناعته ، فوجب ان يعد في الرعيل الاول من شعراء العربية صدر هذا القرن . ولنبدأ فنحدد الاغراض التي تناولتها قريحته ، لنبين فيما بعد الطريقة البديعية التي عالج بها تلك الاغراض .

ان نظرة نلقيها على ابواب الديوان (الذي يرجع الفضل في وضعه بين يدينا لصديقنا الاستاذ عدنان مردم بك) تطالعنا بالافاق الفنية التي اتخذها الفقيد مسرحا لخياله ومجالا لالهامه وبيانه . واذا ما حاولنا أن نلمح الى الموضوعات التي انطوت تحت هذه الابواب ، امكننا ان نلاحظ انها موزعة بين ما هو جمالي محض « منزه عن الفرض » وما هو اما « هادف » يقال في مناسبة عارضة (شخصية او اجتماعية) ، واما « ملتزم » يرمي الى الاشادة بفكرة او عقيدة او مثل اعلى . فمن الضرب الاول وصفه لبعض المشاهد الطبيعية (البحر ، الشمس ، مواكب السماء ، الفجر ، البرق ، الورقاء ، الغوطة ، الربوة ، المزة ، بردى ، قاسيون ، دمشق ..)

أو لبعض المشاعر الفنية (الرقص ، الطيف ، صلاة الشاعر ، ليالي بغداد ، روعة الجمال ، ليلة عرس ...) وهذه الموضوعات لا غرض لها ألا اللهو بالفن لهوا خالصا صافيا بريئا . ومن الضرب الثاني قصائد في مناسبات معينة (كالمولد ، وتحية شوقي ، ورثاء الحسين ، وفيصل ، وشوقي ، وبعض الاخوانيات ، « الى الامير شكيب ارسلان » و « الى عارف الخطيب » وغيرها) . ومن الضرب الثالث الوطنيات (كذكرى الشهداء ، وذكرى يوسف العظمة ، ونكبة دمشق « يوم الفزع الاكبر » ، يوم ميسلون ، حوادث الاسكندرونة ، حديث المعاهدة ...) وجملة تلك الموضوعات في العادة مما يتخذه الشعراء سبيلا لتسجيل مشاعرهم واظهار ما يعتلج في نفوسهم من خلجات . فلننظر كيف تناول شاعرنا هذه الاغراض وعلى اي نهج سار في معالجتها وابرازها في الحلة الشعرية اللائقة بعبقريته .

فاما في تصوير الطبيعة ، فقد امتاز خليل مردم بدقة الملاحظة الحادة الواضحة ، وبقوة التخييل البارع وهما العنصران الرئيسيان في كل موهبة فنية . اقول «الرئيسيان» لانه لا بد ان يرفدهما عنصر ثالث وهو اصالة الاداء الذي لا يكون العمل الفني فنيا من دون ان يتسم بميسمه . تراه يلتفت الى أحاسيس السمع والبصر بمظهريهما السكوني والحركي ، فلا يزال بذلك الخليط المتشاجب من الاحاسيس حتى ينتزع منه صورا لا تبدو لعين غير عينه ولا لاذن غير اذنه ، ثم يروح يضم بعض تلك الصور الى بعض الى ان يجتمع له من ذلك تركيب عجب ورؤيا عن العالم فريدة لم تدر في خلد احد قبله من الناس . فاذا فرغ من هذين التحليل والتركيب اللذين انما يتمان ــ مع الطبع السليم ــ في أسرع من لمح الطرف ، مضى باحثا عن الاداة الفنية البكر التي من شأنها ان تنقل تجربته الالهامية تلك الى الاذهان . ان هذه الاداة الفنية ليست الا البيت والا القصيد ، وما الواحد منهما ولا الاخر الا لفظ والا موسيقى . وسر العبقرية الشعرية كامن في طلسم الحرف وفي سحر الموسيقى كما

(١) راجع الحيوان ج ٣ ص ١٣٢ (تحقيق عبد السلام محمد هارون) واول هذا النص الشهير « والمعاني مطروحة في الطريق يعرفها العجمي والعربي ، والبدوي والقروي والمدني . وانما الشأن في اقامة الوزن ، وتخير اللفظ ، وسهولة المخرج ، وكثرة الماء ، وفي صحة الطبع وجودة السبك ، فانما ... الخ . »

تعلمون ، فعلى مقدار ما ينجح الشاعر فى الاخذ بناصيتهما والتصرف فى رياضتهما ـ وها هنا يبدأ العمل الشــاق المجهد الطويل ـ يكون له ان يلعب بابصارنا وبأسماعنـــا وبأفئدتنا وبنفوسنا . ولقد اوتي مردم هذه الملكة الرائعة النادرة وذهب فى التمرس بها كل مذهب فتجده يفتن فى المطابقة بين المعنى واللفظ ويختار من الاوزان ما يناسب الشحنة العاطفية التي تتلبس بالشعور لتأتي موسيقاه وافية بشروط الايحاء والتعبير . ان شئتم فتأملوا هذه اللوحة الفياضة بالحركة وباللون التي صنعها لتصوير فراشتيــن تتغازلان :

تبرجتا بنفض من سواد   على اعطاف حلة ارجوان
يلوح على حواشيها بياض   كما نصلت اصول الزعفران (٢)
اذا ما ثارتا فشرارتان   واما قرتا فشقيقتان
زوت كلتاهما قرنين دقا   كما يزوى لغمز حاجبان
وضمت من جناحيها فكانت   كعرف الديك او حرف السنان
وارخت منهما فبدت كحلي   تلألأ فوق لبات الحسان
افانين من الحركات زاغت   لها عيني وعي بها بياني
فمن ضم الى نشر لوثب   لرفرفة الى حرب عوان
تواثبتا مناقفة فيا من   رأى الديكين اذ يتساوران
ورفرفتا مهاداة كما فى   مهب الريح رفت وردتان
وزمزمتا فخلت لهيب نار   ينضنض بالفروع وباللسان
ودومتا صعودا او هبوطا   كأنهما هنالك مغزلان
فما يرتد طرف العين الا   دراكا تعلوان وتهويان
كما اندفعت مياه ثم عادت   وقد قذفت بها فوارتان
تحيرتا هنا وهناك طيشا   كما فى الريح حارت ريشتان
اذا ما هبتا لبلوغ قصد   بدا لهما فوجهتا لثان
وان احداهما انطلقت فجدت   بمتن الريح مطلقة العنان
ترى الاخرى تزاحمها اعتراضا   ألي رحب الفضا تتزاحمان
كؤوس الزهر وردهما فلم لا   باجواز الفضا تترنحان

ما اجدر هذه اللوحة الرائعة التي جاءت فيها الالــوان والاضواء والظلال على نسب مقدورة بريشة لوي جيرار (٣) او فراغونا (٤) او نيقولا بوسان (٥) .

بل ما بالكم بهذه المقطوعة الخفيفة الاخرى التي عنوانهـا « الذعرة » « والذعرة عصفورة صغيرة تكون فى الشجـر تهز ذنبها دائما فكأنها مذعورة اشد ذعر » .

يا حسنها طويئرة   بروضة منورة
ايامها من الظلا   ل كالليالي المقمرة
تعانقت غصونها   مياسة مؤطرة
على ضفاف جدول   مياهه مثرثرة

(٢) فهي فى بياضها على اللون الاصفر اشبه بسوق الزعفران التي تخرج بيضاء على الصفرة .

(٣) ـ صاحب اللوحة الشهيرة « الحب والنفس » (١٧٧٠ ـ ١٨٣٧)

(٤) صاحب لوحة « المستحمات » (١٧٣٢ ـ ١٨٠٦)

(٥) ـ صاحب لوحة « الهام الشاعر » (١٥٩٤ ـ ١٦٦٥)

(٦) ـ من الجوهر او من اللؤلؤ النظيم .

تلوح ثم تختفي   كفادة مخدرة
تزينت كأنها   لعرسها مغندرة
ببرنس ادكن فو   ق حلة مزعفرة
فى جيدها قلادة   من الفريد (٦) مزهرة
وصدرها براقش   تلونت مغيرة
تظنها اشعة   من الغمام مسفرة
منقارها وعينها   عقيقة وجوهرة
وكفها خضيبة   وساقها مشمرة

تلفتت مريبة   مذعورة منفرة
الى عل واسفل   ويمنة ويسرة
واومضت بلمحة   تألقت كالشررة
وانتفضت كأنما   قد بللتها مطرة
وذبذبت بذيلها   تضمه لتنشره
وانفضت برأسها   كأنها مفكرة
فتارة منقرة   وتارة مصعرة
ورفرفت جناحها   كلهبة مسعرة
او شرر يثور فى   عاصفة من مجمرة
ومن هنا وها هنا   تدور دور البكرة
فكرة وفرة   وعطفة وقهقرة
حتى كأن بعضها   له على بعض ترة
تسف ثم ترتقي   كريشة محيرة
اذا علت ظننتها   فراشة مفرفرة
وان هوت تهافتت   كنجمة منكدرة

ضمت فما كبرعم   مغمض من عبهرة
تفتحت ثنتان من   اوراقه مبكرة
واختلجت اوداجها   كأنها مغرغرة
ورجعت بلحنها   معيدة مكررة
فبينما تمده   اذا بها مقصرة
فمرة مصفرة   ومرة مصرصرة
جناحها مرفرف   كأنه نيلوفرة
فأعجب لها من قينة   رقاصة مزمرة

وفى الحق يا للموسيقى التصويرية المطربة !

هكذا نرى براعة الترصيع عند خليل مردم ومهــارة التصوير . ولو ان المجال يتسع لشيء من الافاضة لذكرت مقاطع اخرى من شعره الوصفي « كالطيف » و « الرقص » و « سكران وسكرى » . وعندي ان قصيدة كقصيدته فى البحر التي مطلعها

ما له فى عظم الشان قرين   كل جبار يدانيه مهين

هي من احسن ما جادت به قرائح الشعراء فى هــذا الموضوع . ولا ادري لماذا تذكرني موسيقاها كثيرا «ببوليرو» موريس رافيل المتناوحة النغم الرتيبة الايقاع :

زبد الموج على زرقته   انجم فى حالكات اللون جون
مع ما فى صدره من سعة   شرس الخلق اخو حمق حرون
هل عراه طائف من جنة   ليت شعري ام به مس جنون ؟
بينما التيار يعلو جبلا   اذ به واد يهول المبصرين
اترى أمواجه انفاسه   رددت بين شهيق وانين
نفخت فى وجهه ريح الصبا   فعلاه مثل تغضين الجبين

وتراءى الموج فيه عكنا … دغدغتها غمزات العابثين
لين ما فدحته قسوة … رب قاس كان اجدى منه لين
قمت فى عدوته والفجر ما … زال فى جوف الدجى بعد حنين
وطيور البحر فى اسرابها … تتهادى كشراعات السفين
قلت للسرب وقد اقبل من … افق قلبي به عان رهين
ايها القاطع عرض البحر هل … لك عهد بروابي قاسيون ؟

ولنأت الان الى القسم الثاني من شعره . وليس يعنينا هنا ان ندخل فى المعضلة التي يطرحها الناقدون حول مفهوم الشعر : هل هو « الملتزم » ام « غير الملتزم » لان هـــذه القضية تختلف حلولها باختلاف الازمنة . فقد غبر عهد كان ينظر فيه نظرة الريب الى اكثر من تسعين بالمائة من هذا الموزون المقفى الذي يجري على السنة الناظمين ، بل كان يقال انئذ لا شعر الا فيما كان لوجه الشعر الخالص ، فانما الفن للفن وحسب . ثم جاء زمن انقلب فيه هذا المفهوم رأسا على عقب ، فأصبح الشعر المحض المجرد عن الغاية منبوذا متهما يحمل طابع الانانية والابتذال ! وغدا الشعر «الهادف» وشعر المناسبات القومية والوطنية والسياسية الشعـــر الخالد ، الشعر الانساني من دون غيره .

مهما يكن من أمر ، فان شاعرنا تنفق سوقه عند هؤلاء واولئك من اصحاب النظريتين . وقد راينا نموذجا من لهوه الشعري الذي هو ضرب من اللعب الصرف ، وها نحن اولاء مقبلون على تأمل شعره فى وجهه الاخر .

ان من الاغراض التي رمى اليها هذا الشعر الاخير الذي نتكلم عنه ما هو « فردي » خاص بالذات ، ومنها ما هو ذو شأن اجتماعي يتصل بنزعة « الالتزام » التي اشرنا اليها :

ارى الشعر انفاسا يصرفها الفتى … فيطفي بها جمرا ويذكي بها جمرا
وينفخها روحا بميت امة … فتنسل من اجداث غفلتها تترى

فأما الشعر « الشخصي » فهو لتصوير عواطف القلـــب البشري المختلفة كالحب والبغض ، والاعجاب والهــــزء ، والدعابة واللوم ، والفرح والحزن ، والغبطة والحســـــد ، والنقمة والموجدة ، والحنق والغضب ، والصداقة والعداوة وما الى ذلك من هيجانات ونوازع ، وهو من ادخل فنـــون القول فى باب الشعر حينما يكون الغناء فيه صادرا على نحو عفوي كالقطعة التي حرصت ان اجعل منها فاتحة وقـــلادة فى صدر هذا الكلام . الا انه مركب خطر مع ذلك .

لان الشاعر كثيرا ما يضطر الى أن يتخذ من الظـــروف الطارئة والمناسبات العارضة ـ التي ربما رميت بالابتذال ـ ذريعة للافصاح عن خوالجه ولواعجه (كسنوح غادة ، او لقيا صديق ، أو مجلس انس ، او ميلاد طفل، او مصرع عزيز ، او وداع راحل ، او تحية قادم، وما الى ذلك مـــن الشؤون . والمهارة كل المهارة هي فى التخلص حينئذ مـــن الاسفاف والتفاهة . والحق أن خليل مردم رحمه الله نجا من هذه المزالق ببراعة فائقة حين تناول تلك الاغـــــراض جميعـــا .

ولئن غلبنا الوقت على ان نفصل القول فى خصائـــص اسلوبه ها هنا وتكتيكه الذي تميز به، فلن يفوتنا ان نستمع الى مقطوعة سلسة معجبة قالها الشاعر فى حفيده الصغير « احمد » واختار لها مجزؤ الرجز ليتناسب ايقاعها الخفيف مع رقيق الفاظها وهي بعنوان « ولد الولد » :

يشغلني بحبه … أحمد عن كل احد
اذا تناغينا معا … لم تدر من منا الولد
أعيد ما يقوله … وان اقل شيئا يعد
مصفرا مرخما … ويكتفي ويقتصد
وان رآني مقبلا … رفرف زنديه ومد
ولم يزل مزقزقا … كأنه طير غرد
ضممته وضمني … حتى التقى فم وخد
فباسني واحدة … فبسته بلا عد
يريد ما رأى وما … طالت يداه او وجد
حتـــى اذا مـــا ناله استولـــى عليـــه واستبـــد
نظارتي او ساعتي … يأخذها ولا يرد
وربما اغتاظ اذا … منعته شيئا وصد
بينما تراه وادعا … اذا به ظبي شرد
عوذته بالسورتين … وقل هو أن احد
أحب أولادك من … انت له اب وجد
أسبابه أكثـــر فـــي القـــربـــى وأعلـــى واشـــد
اعرقهم بنـــوة … أعلقهم بالقلب يد
ليس أحب من ولد … للاب الا ابن الولد

ارأيتم ، كيف استطاع الشاعر ان يسمو ببساطة مـــع المناسبة العادية ؟ ـ لسرعان ما ترد على الخاطر مع هينمة هذه الاغرودة الساذجة الوديعة قصائد فيكتور هوجو فى ديوانه « صنعة الجد » (٧) وخاصة قصيدته « الطفل » فى ديوانه « اوراق الخريف » (٨) .

بعدما تقدم ، لعل من انبل الاغراض التي عالجها الشاعر الوطنيات والقوميات . أن تاريخ حياة فقيدنا ينبىء انـــه نشأ على الايمان الراسخ بالعروبة . وان هذا الايمان مـــلأ قلبه وجنانه ، وارهف لسانه وبيانه . لقد اشتغل بقضايا وطنه الاكبر منذ أن شب عن الطوق . وما قصيدتـــه فى « الفتح العربي » التي ترجع الى الطور الاول من اطـــوار انصرافه الى معاناة القريض الا شاهدا على ما نقرر .

وظلت الاشادة بمفاخر قومه فى الماضي ، والتوجع لالامهم فى الحاضر ، والتغني بامالهم فى المستقبل اوتارا رنانة من أوتار قيثارته التي انطقها طوال عمره . حتى انه ـ اوسع الله فى رحمته ـ لقي الاضطهاد فى سبيل وطنه وامته: الم يلاحقه المستعمرون الفرنسيون حتى لاذ بالفرار نجوة من بطشهم ؟ ثم اذا قسم المحتلون دياره ، صاغ قصيدته «لوجه الوحدة»

بلادنا ويد التقسيم تعلقها … كأنها رقعة ينتابها حلم

وعندما سلب لواء الاسكندرونة صاح صيحة اليأس على قومـــه :

(٧) VICTOR HUGO, L'art d'être Grand-père

(٨) L'enfant : Feuilles d'Automne

الالق الملهم

عصفورة انت ربيعيـــة … كل العصافير بهـا تحلم
ترفرف الاطياب ان رفرفت … مسحورة وتـرقص الانجـم
عيناك ما فى الكون مــن متعب … الا تمنى فيهمـــا ينعـم
لونهما الفاحم كـم يشتهي … سرقتــه منك الدجى المظلم
عميقتان البحر يا ما اشتهى … عمقهمـا فهـو بـه مغـرم
اعمـاقه تهتز مــن غـيرة … مسـعورة وموجـه يلطـم

عصـفورتي ما باله موحشـا … قلبك هذا اليائـس المعتم
وانت من عينيك يجري السنا … ومنهمـــا الشـاعر يستلهم
عصفورتي لست فتى جائعا … لكنني ذو ريشــة ارســم
بنيت عشي فى اعالي الذرى … حيث شعاع الشمس لا يهرم
ولم يعـد فى السفح لي موسم … فمن غلال الورد لي موسم
عصفورتي لست فتى جائعا … لكنني ذو ريشـــة ارسم
لا ابتغي تفـاحـة تجـتنى … ما ابتغيــه الالـق الملـهم

بانيـاس … جورج مخزنجي



بني العروبة كم من صيحة ذهبت … لو يستثار بها الموتى اذن ثاروا
هنتم على كل شعب من تخاذلكم … شأن العبيد وباقي الناس احرار

ويلوي على فلسطين فيقول :

يا ليت شعري ماذا يستفزكم … حمى مباح واذلال وافقار
ارى الحجارة أحمى من انوفكم … كم ارسلت شررا بالقدح احجار
اخوانكم فى فلسطين تنالهم … بالسوء والعسف انياب واظفار

واذا احرق الفرنسيون دمشق صور الشاعر كارثتها فى لوحة خالدة عنوانها « يوم الفزع الاكبر » .

موج من النار لا تهدأ زواخره … يمده اخر ما ارتد وافده
وبل القذائف هطالا له مدد … والنار والنفط والتهديم رافده
ترى القباب به غرقى فتحسبها … سفنا تهادى ببحر ثار راعده
فى ذمة الله والتاريخ ما لقيت … وفى سبيل الاماني ما تصامده
أمسى الذي كان فى جناتها بهجا … بمارج من سعير فار واقده
النار من فوقه والنار دائرة … به فان فر اردته رواصده
فى كل زاوية رام ومن نفروا … شيبا وحورا واطفالا طرائده

ورب مكنونة كالدر ضن به … على العيون فصانته نواضده
تخطت النار ليلا وهي خاملة … طفلا قضى برصاص القوم والده
فما نئأت به حتى اتيح له … شظية بان منها عنه ساعده
ضمت الى صدرها شلوا يسيل دما … كالطير هاض جناحا منه صائده
يا هول ذلك من مرأى شهدت وقد … وددت لو كنت اعمى لا اشاهده

وهكذا لا تعرض نازلة بالامة والارض العربية الا وجدت أصداءها فى حنايا قلبه فأصعدت زفرة حارة او شكاة اليمة:

مصيبة ميسلون وان امضت … أخف وقيعة مما تلاها
فما من بقعة بدمشق الا … تمثل ميسلون وما دهاها
فروع النار قد طالت ذراها … وبالدم لم يزل رطبا ثراها
فسل عما تصب من دماء … تخبرك الحقيقة غوطتاها
ولم أر جنة امسى بنوها … وقود النار فائرة سواها
عشقت دمشق اذ هي دار خلد … مقيم سعدها دان جناها
فلما شبت النيران فيها … وطال لهيبها اعلى ذراها
ارتنيها المحبة بيت نار … بلوح (لموبذ) وهنا سناها
عبدناها نعيما او جحيما … والهمته النفوس بها هداها

هذه لمحات ولوحات من فن مردم عرضناها ولم نستطع ــ لضيق الوقت ــ ان نقف وقفة كافية عند تحليلها وتفسيرها . ولئن قيل ان شاعرنا انما سلك الدروب المطروقة فلم يكن صاحب مدرسة جديدة ، لقد قال بول كلوديل اعظم شعراء الفرنجة فى هذا القرن : « ليست غاية الشعر ان يغوص الشاعر فى غير المحدود ليبحث فيه عن جديد ــ كما فعل بودلير ــ بل غاية الشعر ان يغوص فى المعين المحدد على ما لا غاية له ولا حد. كذلك فعل الشاعر دانتي، ونحن نقول :

وكذلك فعل شعراء كالبحتري وابن الرومي وخليل مردم

دمشــق … حكمة هاشــم

ثـــلاث ســـــيدات

بورتســـموث

ما اجهلــك
أنــا لست لك .
انــا قد احاول ان رايتك اعزلا ..،
ان اقتلــك .
وادوس راسك ، ثم يا رجل الضبــاب ،
على النهــود سأحملك .
وبأعمق الاعمــاق من قلبي المريض ..
سأشتلك .
حبي اليك .. مزجتــه بالكره يا ملعون ..
اشــعر انه قد اثملك .
اني كرهتــك فامتقــع ..
انــا لا احــاول بعد ان استقبلك .

أنــا لست لك ..
... قد كنت تجلس فى السرير منعما ،
وانا بمــاء الورد أغسل ارجلك
وتغور فى صــدري المعطر انملك
نبني سويا فى حروف من سنى مستقبلك
والان هــا نحن اتفقنا اننا لن نتفق .
وانــا كبعد الشمس فى هذا الفلك .
ما اجهلك

ميـــونـخ

صــفر اليدين .
وخرجت من دنيــاك منقرض الهوى ،
صــفر اليدين .
عيــن تجوب مســاكن الغربــان ،
ثم تبيــح بالامــال عين .
وهم وغــانية وحانه ..
وبــد تزق لك الخيانه .
انــت ادعيــت بحبهــا ...
ورجعت فى خفي حنين ..
خجل يراودهــا ، جبــان انت ،
خفت نفورهــا ..
ورجعت مرتعش الهــوى ،
صــفر اليدين .

ليـبـيـــــا

انــا فى حمــاك .
كأســا اريــد ..،
وبعــده ..، فى الدار ..
تقضمني يداك
كأسا أريد .
يا اســود العينين اني فى حمــاك .
يا صاحب البترول ، ياشرقي ...
اني فى حمــاك .
سأقــوم اصلح زينتي ،
وأعــود ارضع من لمــاك .

روحي فــداك ..
اني لالمح فى عيــونك ،
انت شيئــا من دمــاك .
كأســا . غضبت ؟ امــا ترى ...
فى « البار » يومىء لي سواك .
فاذا غضبت وعــدت ..
تبــدي لي جفــاك .
سـأقوم يا شرقي فاحصــة
ليـأخذني ســواك

بغـداد

حــارث الوفي

وعادت حبات الدمع تقفز من مقلتي محدثي ، فغطى وجهه بيديه وكرر :

— لو لم تفر الدفة ، ما كانت نهايته هكذا ..!

كان فارس صيادا ماهرا ، ولكنه ليس كرفاقه ، انما امتاز عنهم بغرابته ، ونفوره من كل مشاركة جماعية ، وهذا ما يتعارض مع الحياة المشتركة التي يحيونها ، لان ظروف العمل تفرض التعاون بينهم على نطاق واسع . كان يرد في كل مناسبة يتعرض فيها للوم :

— ان اليد الواحدة تستطيع التصفيق وحدها ..

ومع ان القاعدة التي ينطلق البحارة بمراكبهم منها مشتركة ، فان طريقه مختلف ، ونوعية سلوكه متعارضة ، مع كل غدوة ورواح ..

ان خاتم سليمان لم يظهر يوما في شباكه ، ولا النعمة فاضت فوق رفاقه ، والقسمة تقلل من النصيب ، فلم يكن امامه الا ان يكفر بتقاليد المهنة ، ويعاكس كف العفريت ، الذي لا يروق له الا العبث ... وراقت الفكرة له ، منذ زمان ايام الحرب ، حيث كان مرة على مركب « ريس » خبيث ، ينقل الفستق الحلبي من مرسين الى يافا ، فتورط معه بسبب رؤيا خادعة في قتال عنيف ، صاح فارس منبها :

— يا ريس مصطفى ... يا ريس مصطفى ، اذا ما صدقت عيني فاننا بالقرب من برميل « سمن » واجابه الريس بجشع :

— حسب العادة ، لي حصتان وللمركب حصة .

وماج هيكل فارس بالحسد والغضب ، فالقضية مربحة ، وليس سهلا أن ينصاع للاعراف السائدة ، ما دخل المحاصصة هنا ؟ وبأي شريعة يعيشون ؟ ، ان عشر سفرات مثقلة بالمخاطر والصراع ، لا تأتيه بربح مثل هذا !.. كان تعبا من العمل المتواصل ، ومن مضايقات رفاقه و « رياسه » ، فالرغيف كالسمكة التي يحويها المحيط ، لقد انفرد برؤية البرميل وحده ، فهل يرضى بحصته القليلة ؟، كلا، كلا .. ان افواها يكسرها الحصى تنتظره ، كان شابا متزوجا ، عنده ولدان كصاريين هزيلين ينبتان في العراء ، يكرعان جرعات النشوة من صدر عليل ، فاض قلبه كشراع عريض ، يحمي الصواري المكلومة من سهام قاسية ، وانفجر باصقا شررا لزجا :

— اننا يا ريس متساويان .. انا فارس .. موجة لا تنكسر ..

واشتبكا بزنود سمر قوية ، تمزق اللحم ، وتسبح في الدم ..

ومنذ تلك الحادثة اشترى فلوكة ، واراد ان يكون سيد نفسه ، ظل يكد

الدفة الهاربة

بقلم يوسف مقدسي

ويجد ، واقترض المال ، وباع اساور زوجته ، وعاش على حلم سعيد ، يشبع جوعه من سمكة « بورية » لا تنتهي بيوضها من التفريخ ، ويغمر خياله بمال اصفر رنان ، يحس به جاريا في عروقه ..

عند الخروج الى صدر اليم ، والالتقاء ببقعة وافرة الغلال ، ترمى الشباك على الارض الخصيبة ، « وببذل جهد يد واحدة او عشرة تتعادل بالانتاج » ، ويتقاسم الجميع ما اباح البحر لهم من خير ، كل حسب مكانته واختصاصه ، بدون اعتراض ، وهذا لا يمنعهم من الحسد والنقمة ، لكن الفقر ، وانسداد أبواب الرزق في



وجوههم ، والخوف من امتياحهم للاهوال او انزالهم مركبا كبيرا من الشاطىء الى الماء ، وبتواصل الايام وامتدادها ، وتوارث العادة عن الاباء والاجداد والتقيد بها ، ونظرا لابتعاد البحارة عن الناس ، انفكت عرى اتصالهم بالعالم بشكل متواصل ، فهم كفضلة بحر تقيأها على الصخور ، ما زال الموت ينازعها .. والبحر يمزقها .. ولا مفر من القدر المكتوب .

ان « الملتم » غربي منذ اسبوع ، والبحر اخضر وسخ ، يفجر حبره ويلوث ثوبه ، والمراكب في الملجأ بانتظار الانعتاق ، والبحارة تنتظر « قفا نوه » ، لتظفر بالسمك الجائع ، الذي لا يهمه بعد خروجه من المحاجر وتعكر المياه ، والجوع ، الا الظفر بكسرة غذاء ، ولو كانت من فم شبكة صياد .

والانتظار الطويل لا يدب اليأس في نفوس البحارة ، فكلما زاد الهدير ، وغطست السماء في البحر المدير ، تأججت الصدور بالعواطف الجياشة ، والاحلام الموعودة الموهومة ، وعلى الشاطىء كانت الزوارق مطروحة ، بعضها مرفوعة فوق كثبان الرمال المسحوقة بارجل عمالقة .. عمالقة نحيلة ، خمرها الملح وجففتها الشمس .. والمرس اشبه بسروال طويل ، يمد البحر رجله منه ، فتظهر اصابعه الصخرية هنا وهناك ، مكللة بحشائش غامقة ، تدل البحارة على الطريق الطويل الذي يوصلهم الى عرض البحر .

كانوا يعملون جماعات نصف عراة ، اما برفع شراع أو شبكة ونشرها ، او تصليح «موتور» أو بترقيع مركب ولف خيطان التلويح ، وبعضهم يتفرس بالبحر ، ويقيس الموج ، ويزن الهواء .. كل الدلائل تشير الى هدوء العاصفة وانحسار المد ، وان كانت الغيوم تعصب عيون السماء بأوشحة كالحة ، وتغزل خيطانا رفيعة يلعب الجن عليها ..

والمطر لا يخيف الاجسام العارية

بل يرطب عودها ، والهواء البارد يلذعها ويقززها ، وفى الليل تسكب النجوم من بين فجوات الغيوم فيضا من نورها على البحر ، فتوصله الموجات البيض الى الشاطىء بعد ان استهلكت قسمه الاكبر ، وغالبا ما يتأخر البحارة فى ترك المرسى كما هم الليلة ، بعضهم ينتظر انقشاع الغمام ، وقسم اخر يتهيأ للصيد ، وهناك على اطراف الملاجىء الطبيعية المرتفعة قليلا ، التي بقي الموج والهواء والدهر ينحت سرادب فيها ، يتكوم بحارة داخلها حول نار تضطرم ، انهم يتحادثون .. يتسامرون .. يدخنون يأكلون .. الدعاء والقسمة والقدر مفتاح حديثهم :

ــ لو ان الله يوفقني لاشتريت «لنش» سمك

ــ لا احد يأخذ غير قسمته

ــ انا اعمل بيدواحدة ، فهل اعمل باثنتين يا ترى ؟

ــ المقدر سوف يحصل ، لا بد

ــ ما احلى المنازل الكبيرة التي تبنى كل يوم !

ــ السيارات اجمل وافضل، انها كالفتيات ، لكن نقدها غال جدا

ــ اتمنى رحلة حول العالم على مركب يسير بدون بحارة

ــ اريد ان أستريح من الشراع والبحر الى الابد .

والبحارة يعرفون البساط الازرق معرفة استقوها من تجاربهم ، ومن خبرات «رياس» وهبوا انفسهم للبحر وغالبا ما يتندرون بقصص الاهوال التي يحفظونها غيبا ، ويزيدون عليها الشيء الكثير عند سردها ، كانت قصة الريس قدور مثلا فى البطولة ورباطة الجاش ، كان فى طريق عودة الى الشاطىء من مكان خصيب يسمى «العروس» ، يرافقه بحاران قويان ، عندما داهمته عاصفة قوية، وفى ايامه لم تكن «الموتورات» منتشرة ، وانما الاشرعة هي السائدة ، لقد جزع البحاران عندما اطبقت السماء على البحر ، فهم فى ارض لا يعرفانها ، الوقت بعد صلاة العشاء ، والظلمة على اشدها ، ومن حين لاخر تنشق السماء عن وميض يبهر العيون ،لتعود دامسة اكثر فاكثر، البحر جبال قاتمة سود .. والريح يحاول تمزيق الشراع فيئن ويصرخ .. والمطر كالمسامير .. والمركب يرتجف ويتقلص على نفسه. البحر يبتلعه بصعوبة .. وهو خال من «البوصلة» او اي دليل اخر ، صرخ حامد اصغرهم :

ــ يا الله .. يا ريس .. اين نحن اين ؟

والريس قدور لم يفقد شجاعته كانت رجلاه مسمرتين على بطن المركب ، والبحاران فى حالة قلق وجزع ، يئنان ويصليان ، وان كانا يشعران ان عملهما هذا لا يخفف من الهلع الشديد الذي يعصف بهما .

ــ الموت . الموت !

قال الريس :

ــ لا تخشيا شيئا .. الذي يقع فى الشبكة عليه ان يخلص نفسه منها بمهارة

ــ اين نحن ... اين نحن

ــ ابقوا شبابا واضبطوا اعصابكم .. امسك « الشكودا » يا حامد ، وانتبه يا علي « الكنترا » ، بينما انا اثبت « المنطاري » ... اننا فوق ريح المدينة وسنصل الى الشاطىء سالمين بأذن الله ...

وقطعوا المدينة ، وشعر البحاران بذلك ، وظنا ان الريس فاقد زمام المركب وهو يراوغهما ، وعندما سألاه ، بادرهما بالغناء :

ياليل انا قدور ابن اصل
الموت حق وامانة ، ان حل الاجل
لكن ما انا فريسة سهلة للاكل
عمري وحياتي لرفاقي والاهل .

وكاد حامد يبكي متحسرا على مصيره الذي تخيله اسود وقال :

ــ يا ريس .. انت تعزينا بمصابنا ؟

وكانت كلمة الريس الاخيرة :

ــ ناموا على حرير ... لقد وصلنا الميناء ...

وتكرار قصص البطولة ، والتغني بأبطالها ليست غريبة عن واقع البحارة ، فقد يتعرض كل من يخرج الى اليم ، الى حادثة مماثلة ، فالبحر غدار .. وهناك رباط متين يشدهم الى الصراع فى كل لحظة ، لذلك فالاشادة بالمآثر ، وتصوير الحوادث الرهيبة ، كانت قطعة من حياة كل واحد منهم ، انه يمثلها فى الواقع ، وان كانت لا تلفت نظره ، فان لكل منهم قصة ، ولكن مدى اهميتها لا تتجلى بين مجموعة متشابهة، تعيش تجربة متقاربة ، والبراعة غالبا ما تتحول مع الزمن الى اسطورة غريبة يتلقفها ويقصها رواة يتعطشون للشهرة والمجد والغنى ...

واذا ما نبشوا انفسهم ،وتناولت السنتهم تعرية بعضهم ، كانوا يروون ملاحم عن حياة كل فرد منهم ، فهذا فارس تمرد عليهم ، وهو لا يعترف بانه مثلهم ، مع انه يستخدم بحارين ويحاسبهما كما هو متعارف عليه بينهم ، ومع كونه منفردا،متجهما ، كانوا يختلفون فى بغضه ومحبته ، دوما نشيط وشجاع ، يعتمد على زنده فى قطف الرزق.

قال حميد احد البحارة الذي وصل الى حيث الجماعة التي تحيط بالنار:

ــ ان فارسا سوف يبحر بعد لحظات

ورد احدهم :

ــ فى هذا الطقس اللعين.... انه مجنون .

وتابع حميد :

ــ لعن الله الطمع، كل من اصبح لديه نحاستان ، يظن نفسه اعظم الناس ، الا يكتفي بنعمة ربه ؟ .

وبصق ،فى حين تابع اخر :

ــ الله ييسر كل انسان رزقه ..

وامتدت عيون الجميع نحو البحر، تحتضن مركب فارس الذي بدا يترك الشاطىء ، وتشده نحوها ، فان ساعات الخطر قد يعرفها كل انسان ، يشعر بها .. تضغط عليه .. تحدثه بما سيحصل .. لا بد ان

يتكلم عنها ، ومن الخطأ حبسها داخله .. كانت ضحكات عند الشاطىء تمزق جلبة الطبيعة ، الكل يعرف الصوتين المتحاورين :

ـ تمهل يا فارس . البحر لا يعاند

ـ ابقوا انتم وراء « النوء » اما انا فأقطف الصيد من فم النبع ...

ثمة فوانيس صغيرة كانت معلقة فى الظلمات المتكاثفة ، نورها ضعيف كأن الضباب يحملها ، تتحرك ببطء وعن بعد ناحية البحر المدجن المكلل بتيجان بيض ، كان النور يخفت بالتدرج كلما توغل فى الظلمة البعيدة واخترق جوفها ...

وعندما هدر صوت المحرك ،كانت الشعلة ميتة فى عيون البحارة ، التي بقيت تغوص فى قلب الحلكة شاردة كئيبة ، وان بقيت كلمات لم يفجرها البحارة من قلوبهم ، فان جلها كان ينصب حول معنى واحد :

ـ من غير المجنون يخاطر بكل ما يملك ، ويعطيه بيسر لعدو جرار !!.

كانت فلوكة فارس تنزلق على وجه البحر ، تشق وفود الماء التي تزحف الى الشاطىء بقوة وعنف ، تاركة وراءها المدينة قابعة على كتف تل مزروع باضواء خافتة ، كان فارس يسترق النظر من خلال الدفة الى اليابسة ، فعائلته الكبيرة تنام الان على احلام وعدها بها .. الطريق طويل .. وفى نيته الذهاب الى مكان مشهور بغناه ، لا يزوره البحارة لبعده وعدم معرفتهم مكانه بدقة .. انه عميق اكثر من « اربع مئة قامة » ... لقد مر به مرة ، وامتلأت شباكه بسمك « القجاج » وهو غالي الثمن ، ولا بد ان البحر قذف باسماكه الى فوق ... الموج ينبع من الظلام .. ويتدفق على المركب .. بقيت مسيرة بعيدة .. الهواء عنيد يصفع الفلوكة ، ويتعاون مع الموج على ايقافها ... السماء تقترب جدا من البحر ، ومع ذلك فان عزيمة فارس وبحاريه مرتفعة ... انهم مشتاقون للبحر .. لقد ملوا الجلوس على الشاطىء ، وانتظار نعم السماء.. المال لا يأتي من دون تعب .. والسمك يملأ البحر .. لن يرجعوا .. لن يكونوا اضحوكة .. الفجر وراء الظلمة .. والارض الخصيبة نضجت ، الهدير ، البرق ، الرعد ، المطر ، الهواء ، لا يفزع الا الجبان ..

المركب ما زال يحرث البحر بعناد ، ويترك وراءه تلما سرعان ما يلتئم ، لقد ابتعدوا عن الشاطىء كثيرا ، وفارس كالطود رابض على تخت الفلوكة يحرك الدفة بمهارة : العاصفة تشتد ، وقبة الغيوم تنتقل فوق رؤوسهم .. بعض الهمس يتصاعد من البحارين .. الخوف يغزوهما ويدب القشعريرة فى اوصالهما لكن الجميع يعملون بشدة ، والمركب يخترق الرعب الاسود .. الاعصار لا بد ان يهدأ ، ومن المستحيل العودة .. الموج ينكسر فوق المركب ،والهلاك بانتظارهم . وكان فارس يعطي التعليمات بعزم .

ـ خففوا ثيابكم يا شباب ..ولكن ضعوا المشمعات على اكتافكم ، غطوا « الموتور » جيدا وانزحوا الماء بسرعة .. . ان الطبيعة تلعب معنا .. مركبنا قوي جبار ..

وخمد صوت « الموتور » فجأة ، وبدا كل شيء يسبح فى عالم اعمى ..ان الصدمة كثفت الرعب امامهم .. تارة فى واد سحيق ، واخرى على قمة جبل شاهق ... افواه كثيرة اقتربت من كل جانب تهم بابتلاعهم .. الموج ينصب عليهم كشلالات من العصي .. الموت يتربص بهم .. الحياة عزيزة حلوة ... تركوا كل شيء وتعاونوا جميعا لسكب الروح من جديد فى المحرك ... مر وقت طويل ... ثم دوى الهدير .. تراجعت الاشباح الخفية .. وعاد الامل بالنجاة .. لكنهم فقدوا الهدف .. تكلم فارس : لا تخافوا .. آه الدفة طارت .. ما العمل ؟ ..المركب يدور حول نفسه .. المجذافان لا يستطيعان المقاومة .. كانت يدا فارس كاصابع اخطبوط قبضت على غريم ، اخذ مجذافا وكسره .. استعمله كدفة .. كل ينجو بنفسه .. اي طريق اسهل للنجاة ..؟.. الزمن ينطوي مع كل قفزة فوق الفلوكة .. الجميع انقلبوا الى وحوش تناضل قوى خارقة .. لم تكل بعد .. كل لحظة تمر دون قتال نصر للعدو .. اصبحوا كالالة همهم النجاة .. المطر خف .. يكاد ينقطع .. انهم يخترقون الجبال كأن نفقا طويلا انشق امامهم .. الى امام .. ساروا مع الريح .. اصوات غريبة بهيمية تصرخ وتنوح .. وهواء صرصر يلفح الاجسام العارية فيمزق الجلد ويصل الى العظم ينخره كلما ارتمت كومة منه عليهم .. لملم فارس قواه ، كان يعلم ان العاصفة ستخمد .. ولكن التعب ازداد .. ان البحارين مرهقان جدا .. لقد ثبتا الى النهاية ويحق لهما الاستراحة . ناداهما بحنان:

ـ كفاكما ارتعاشا ... استريحا تحت السقالة ...

وبقي وحده ، كان لا يستطيع ترك الدفة الجديدة ، ولا ينام ..التعب ينهشه ، والبرد يغوص الى اعماقه.. «الموتور» يشع الحرارة .. الحرارة تجذبه .. مال نحوها .. آخ ..

.. الدفء يسري فى نصفه القريب .. ما الذ ذلك ..!!. وكبا على « الموتور » . وتململ .. كان لا يستطيع الحركة ونقل طرفيه ، ولا يصرخ ... ان بعض جسمه يحترق ... ويده القابضة على الدفة ، التي تسير نحو الارض الخصيبة متجمدة

آه .. آه .. قلبه يتمزق ، ويذوب .. ما اصعب النار ، والثلج ... كان يفكر بدون ارادة .. هل يحلم ؟ .. أن الغنيمة فى يده يقدمها الى اهله ... ويده الاخرى تحمي رفاقه . صورتان تمتزجان معا .

ـ خذوا الخير

ـ اثبتوا امام الموج

وارتمى ثم انتهى ...

اللاذقية **يوسف مقدسي**

الاعتراف

صفاء الحيدري

بغداد

اجبني
ماذا اقول وانت فى غضب
اني حلفت لها براس ابي
سأعود قبل المغرب
قالت متى ؟
فاذا
شفتاي تختلجان فى كذب
أماه قبل المغرب .

لي موعد فانا
منه على ارب
اطعمته قلبي ، فأجفاني الى هدبي
هو منتهى طلبي

اماه ، كنا اثنين نغشى ساحة اللعب
هو فى دمي نبع وفى شفتي عنقود من العنب
وبناظري جموح شمس شاطىء الذهب



اماه كنا اثنين
نجري وبركضنا الصبا
فكأننا مهران فى قصب
ميداننا عينان لم ينيا
يتلاطمان تلاطم اللجب
اماه كنا اثنين
آفاقنا مدان مد البحر والسحب
اماه لم اكذب وليس على
نهدي غير حشائش الزغب
لم تمسسهما كفاه ، لم تجرحهما شفتاه
لم يجمح ... ولم اغب

اماه
ذاك اليوم ما فتئت
هذي رؤاه تناغي القلب عن كثب
كنا اذا جمحت محفتنا
القى خيالك او خيال ابي
ماء على اللهب
فاذا ضميري طاهر واذا
قلبي انا .. قلبي يمجد بي
« انا صنع امي صنع ذاك ابي »

لحظات ... مع شاعرين معاصرين

بقلم محمود بن الشريف

١ ـ الدكتور احمد زكي ابو شادي

ليس أقدر على تبيان احاسيس الشاعر من نفس الشاعر، لذلك سنذع شاعرا عربيا معاصرا يسطر بقلمه تاريخ حياته ويروي بقوله الخطوط العريضة لكفاحه خلال خمسين عاما قضاها فى ميدان الادب والقريض ثائرا على المذاهب الادبية القديمة ، ناعيا عليها جمودها وقيودها ، حاملا لواء التجديد فى شعرنا المعاصر ، داعيا الى الحرية الفنية والفكرية . يقول شاعرنا العربي الدكتور احمد زكي ابو شادي فى حديث له عن نفسه :

« ادين فى الروح الادبية العامة الى المدرسة الادبية التى كان من اعلامها : عبد القادر المغربي ، وتوفيق رفعت، ولطفي جمعة ، وتاثرت فى الادب الغربي بشيلي وهيني وكيتس من الشعراء ، وبديكنز وارنولد من الادباء ، والى « ولز » ومطران اهديت روايتي الشعرية « اخناتون » نظرا لنزعتهما الانسانية التي اتعشقها ، فما همت بشيء قدر هيامي بالثقافة الانسانية الصحيحة . واما اطلاعي الادبي والفلسفي العام ـ فضلا عن أطلاعي العلمي ـ فوفير ومتنوع . والنهضة الادبية فى العالم العربي اساسها التيقظ ثم التأثر بالادب الغربي ، وهي نهضة صحيحة قوامها الشباب المثقف . ولا بد من استمرار التفاعل والتطاحن بين القدامى والمجددين الى ان يصطبغ الادب فى كل قطر بصفة قومية . واني اعتبر الشعر الحديث قد بلغ غاية من التفنن والابداع لم تكن تخطر على البال فى عصر من العصور السابقة . وقد ابديت رأيي فى ذلك بتوسع فى مجلتي « ابولو » واما عن نهضة الغناء فما زلت ارى ان الغناء التعبيري والتلحين التعبيري بعيدان عن التحقق بفضل قصور الملحنين . وانا ضد الاغاني المبتذلة وادعو بحرارة الى تطويع اللغة العربية السهلة للاغاني ولي نحو تحقيق هذه الغاية كتاب « أغاني ابي شادي » كما ارى ان تبث الموسيقى الاوروبية فى الاغاني العربية واقترح لذلك ان نترجم الاوبرات المشهورة وتطبق الترجمة او النظمية بدون اي تصرف على الالحان الاصلية وغرضي من ذلك الاستمتاع اولا بتلك الروائع الفنية وثانيا تهيئة مواهب الفنانين العرب للتأثر بتلك الروائع تمهيدا لانجابهم الفني المستقل المجاري للفن الاوربي السامي ، وقد قامت لجنة النشر والتاليف الموسيقية بتلحين بعض اوبراتي ووقف عجز المسرح المصري دون القيام بتمثيلها . اما تجديدي في الشعر فيتبلور فى الدعاية الى الشعر الحر وقد وضعت اولى النماذج منه فى اللغة العربية وكان لذلك اثر مشهود فى التحرر فى تأليف الروايات الشعرية . وفى مجلة « أبولو » نصوص عديدة لذلك الشعر الحر . وقد نظمت اول « اوبرا » فى اللغة العربية كما دعوت الى التعبير الفطري الطليق كضمين للابتكار ولحرية الخيال الفني بدل تسخير الشعر لاعتبارات ثانوية من لغة وغيرها مما قضى على الروح الفني فى الماضي قضاء بليغا . ودواويني ومجهودات مريدي فى مجلة « أبولو » وفى غيرها تمثل نتائج هذه الدعوة واثار هذا المذهب الفطري الذي يعادي التهيب والتصنع وتسخير الروح الفنية لما عداها .

وقد قلت فى الشعر القصصي والرمزي وجلت فى شتى الاغراض الشعرية الفنية . ولقد قرأت الكثيرين من شعراء الفرنجة وانا أطلع باستمرار على الجديد من الشعر ونقده ، وقد اختططت لنفسي مذهب البحث عن الجمال الفني فى كل ضرب من ضروب الشعر واميل الى الاندماج فى شخصية الشاعر والاطلاع على ترجمته قبل الاقبال على دراسته ولذلك لم يكن من المستغرب ان اتذوق الشعر من شخصيات متناقضة ، لاني اتطلع الى الجوهر الفني وحده فى كل هذه النماذج المتباينة وانا بطبيعتي أميل الى الشعر العاطفي الحار فى اوقات لهفتي وعطشي الروحي . وفيما عدا ذلك استوحي ايماني النفسي من الشعر الفلسفي وشعر الطبيعة والوصف ، فلا غرابة اذ استمتع مثلا ببيرون وهيني دكيتس فى اوقات ، وبشكسبير وملتون فى غيرها واستمتاعي بالبحتري والبهاء زهير آونة ثم بالمعري والمتنبي فى اوقات اخرى . وفى شعري تتجلى النماذج المعبرة عن روحي المتعددة الجوانب ، فتجد شعر العاطفة الحارة وشعر الطبيعة التصوفي والشعر القوي والفلسفي والانساني العام ودواويني ومؤلفاتي الشعرية خير شاهد على ذلك . واجمل ما فى الشعر تحرره واصالته وموسيقيته وعمق الاحساس فيه » .

تلك صورة زاهية مشرقة لعقلية نيرة وفكر متحرر ونفس طلعة وثابة ضاق صاحبها بفساد الحكم والاحزاب فى مصر فتاق الى الهجرة ، وما أن اقبلت سنة ١٩٤٦ حتى فر شاعرنا ابو شادي مهاجرا الى امريكا .

وفى نفس السنة التي هاجر فيها توفيت زوجه الحبيب فرثاها بقوله : ماذا تفيدك لوعتي وبكائي .. هذا فناؤك مؤذن بفنائي !! ويصور ابو شادي ملامح شخصيته المرحة التي تنبع منها طاقات من التفاؤل تبدد وخزات التشاؤم وتبيد هجمات الالم فيقول :

ترى الم الاحرار سر وجودهم … ومن ذلك الحر الذي ما تألما ؟
طغى كل يوم مأتم بعد مأتم … ونفسي تأبى ان ترى الكون مأتما
وما زلت تغزوني المآسي كأننا … صحاب، وتهواني شرابا ومطعما
بلا كلفة تحيا على بر مهجتي … فآثرت ان افنى وان ابتسما

وعندما اعلن الحكم الجمهوري المصري فى ١٨ يونية (حزيران) سنة ١٩٥٣ حيا رجال الثورة وهتف للحرية الجديدة التي استقبلتها مصر على ايديهم فقال مخاطبا مصر:

قد انتزعوا من قبل حظك عنوة   وما برحوا والدهر كالطائش الاعمى
تجبر واستعلى فردوه صاغرا   وقد كان كالمحموم سكران بالحمى
وها انت بالعهد الجديد طليعة   ومنجبة اعلام نهضتك الشما

هذا هو حديث شاعرنا ابي شادي الذي هاجر الى امريكا فرحبت به هيئاتها الادبية ومؤسساتها الثقافيةودعته جامعاتها ليحاضر فيها عن الادب العربي الحديث بعد ان انتخب استاذا للادب العربي بمعهد « آسيا » بنيويورك وظل هناك علما عربيا خفاقا الى ان انتكس حينما وافاه اجله فى ابريل (نيسان) سنة ١٩٥٥ .

٢ ـ زكي مبارك بين سنتريس وباريس

شب زكي مبارك فى قرية « سنتريس » تلك القرية التي تشبب بها وتغنى بجمالها فى كتاباته ومقالاته عن « باريس » وتقع سنتريس على الرياح المنوفي بمحافظة المنوفيةبالاقليم المصري ، وفيها نشأ على الصفات الريفية الاصيلة ، ومنها ظل يكافح وينافح فى طلب العلم حتى انتقل من كتاتيبها الى كليات جامعة باريس . وكانت حرية الفكر نزعة قد استبدت به منذ صباه فانطلق فى اجواء ادبية ومناحى علمية متع بها حسه وارهف بواسطتها مشاعره ، وغذى فيها عقله وروحه ، واستمر يخلط بنفسه ويذيب فيها ما فى الشعر والادب من اخيلة وصور ، وما فى علوم الاولية ومعارف القدامى من اسرار ومعان حتى اخذ من كل فن بطرف ، ومن اجل ذلك قال عنه المرحوم العلامة محمد جاد المولى بك بعد ان وصفه بانه الرجل الذي انفق شبابه فى الدراسات الاجنبية الفلسفية .. تراه حين يجادل فى الدقائق الفقهية كما صنع فى تحقيق كتاب « الام » فتضيفه الى زمرة الفقهاء ، وحين تراه يجادل المعضلات النحوية تضيفه الى طائفة النحويين ، وتنظر فى كتابه «النثر الفني» او كتابه « الموازنة بين الشعراء » فتحسبه رجلا لا يحسن غير النقد الادبي ، وتقرأ رسالاته العاطفية ودراساتهللعشاق من الشعراء فيخيل اليك انه شاب لا يعرف غير الاصطباح والاعتناق بهوى الغيد الرعابيب ، وتنظر « رسالة اللغة والدين والتقاليد » فتعده من كبار المصلحين . وتنظر مقالاته فى التربية والتعليم فتراه من أقطاب المربين ، وتقرا هجومه على الشعراء والمؤلفين فتخاله من الهدامين ،وتسمع عن أخباره فى الاندية والمجالس واحاديث رحلاته الى البلاد الشرقية والغربية فتعتقد انه من المولعين بدراسة اخلاق الامم والشعوب » .

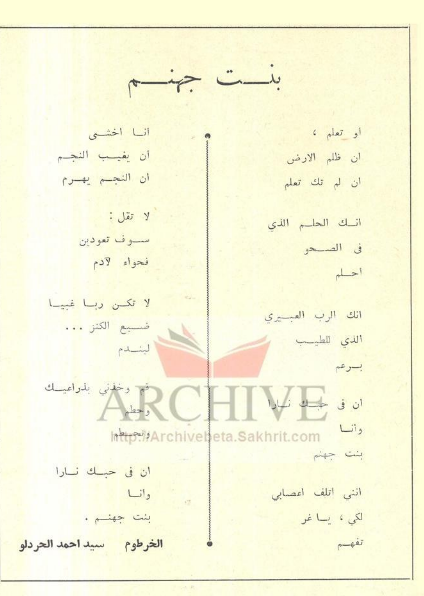
وقد قال الدكتور زكي مبارك عن نفسه « ... اعوام عجاف مررت بها لو ابتلى بمثلها اصبر الصابرين واشجع الشجعان لالقى السيف وطوى اللواء ، فقد كنت فى حرب مع الناس والزمان ويا ويح من ابتلته المقادير بافك الناس وغدر الزمان . ولكن الله عز شأنه لم يخلق الشر الا لحكمة عالية فقد قويت عزيمتي بفضل ما عانيت من ضروب الاضطهاد فى حياتي ، واستطعت ان اقيم الدليل على ان الظلم قد يعجز عن تقويض عزائم الرجال ، وهل كان من هواي ان أسرف على نفسي مثل هذا الذي اسرفت فأقضي عشرين سنة فى الحياة الجامعية بين القاهرة وباريس كانت كلها نضالا فى نضال ؟ وهل كان من هواي ان تخلو حياتي من الهدوء والطمأنينة فلا اصبح ولا امسي الا فى عراك وكفاح ؟ هل كان من هواي ان انتهي الى ما انتهيت اليه فلا يكون لي من نعيم الا ما اصوره بقلمي من حين الى حين لاوهم نفسي انني اعايش الاحياء ؟ تباركت يا ربي وتعاليت فلولا لطفك وتوفيقك لما استطعت بفضل الجد ان القى اهل زماني بالكبرياء والاستطالة . »

ولن نتحدث هنا بعد هذه اللمحات الخاطفة ، عن حياته الادبية ولا عن اثاره الفنية ، ولا عن تاريخه العلمي الحافل بالجهاد والجلاء ولن نتحدث عن شعره. وقد لا يعلم البعض انه شاعر مطبوع وله ديوان مطبوع قرظته الصحف عند ظهوره ولن نتحدث عن مؤلفاته التي نافت على الثلاثين كذكريات باريس ـ ومدامع العشاق ـ والاخلاق عند الغزالي ـ وعبقرية الشريف الرضي ـ والتصوف الاسلامي، ولكن سنتعرض هنا لجوانب انسانية وزوايا عاطفية تكاد تكون مجهولة فى حياة هذا الاديب . وسنعرض مواقف له تكشف عن انسانيته وتشف عن روحه التحررية التيتمقت الهوان والعبودية ، وتعرب عن نفسيته الساخرة من شدائد الايام المستهينة بالصعاب والعقبات ، وها هي ذي بعض فقرات مختارة من حديث صحفي له معي نشر فى جريدة البلاغ بتاريخ ١٩٥٠\١\٣١ كانت سداها الصراحة ولحمتها الحقيقة ، وهي تنبض بانسانيته المثالية وتنبىء بعاطفته القوية النابعة من قلب كبير .

سألته : أيهما تفضل ان يكون الانسان عبدا فى جنة او سيدا فى جهنم ؟ فاجاب : انا اكره العبودية ويرضيني ان اكون سيدا فى جهنم ولي هناك اخوان ينتظرونني على احر من نارها . وسألته : من لقبكم بالدكاترة ؟ ومتى ؟ ولماذا ؟ فقال : كنا قد اقمنا حفلا بدار الاتحاد النسائي ندعو فيه الى اباحة الانتساب الى الجامعة فألقيت خطبة والقى الشاعر محمد الاسمر قصيدة جاء فيها هذا البيت :

هذا زكي لم يزل متلمذا   وله تلامذة هم العلماء

ثم عقب الاسمر بقوله ويعجبني طموح الدكاترة زكي مبارك » وهذه التسمية التي اطلقها الاسمر علي تسمية صحيحة ، فعندي ثلاث دكتوراهات : الاولى اخذتها من الجامعة المصرية سنة ١٩٢٤ والثانية من جامعة باريس سنة ١٩٣١ والثالثة من جامعة فؤاد سنة ١٩٣٧ . ولما استفسرت منه عن ذكرياته الاليمة قال : انها كثيرة واشهرها يوم ان جعت فى باريس فأوحى ذلك الي قصيدة « غريب فى باريس » واغرب من ذلك الجوع الذي اصابني فى «الموصل» فرجعت وانا اقرأ قول رسول الله عليه السلام « اذا احب الله عبدا جعل رزقه فى بلده » . سألته : هل تذكر تاريخ اول مقال نشر لك ؟ وفى اية جريدة ؟ وما عنوانه ؟ قال : اول



بنـــت جهنـــم

أو تعلم ،
ان ظلم الارض
ان لم تك تعلم

انـــك الحلـــم الذي
فى الصـحو
أحـلم

انك الرب العبـيري
الذي للطيـب
بـرغم

ان فى حبـك نـارا
وانـا
بنت جهنم

انني اتلف اعصابي
لكي ، يـا غر
تفهـم

انـا اخشى
أن يغيـب النجـم
ان النجـم يهـرم

لا تقل :
سـوف تعودين
فحواء لآدم

لا تكـن ربـا غبيـا
ضـيع الكنز . . .
ليـنـدم

قم وخذني بذراعيـك
وحطم
وتحـطم

ان فى حبـك نـارا
وانـا
بنت جهنـم .

الخرطوم سيد احمد الحردلو

مقال نشر كان فى جريدة الافكار سنة ١٩١٤ بعنوان «البدائع» وقد صار ذلك العنوان اسم كتاب لي فيما بعد طبع ثلاث مرات . وقلت له : ما الموقف الذي أثار شعورك يوم ان كنت مفتشا فى المدارس ؟ فأجاب : عند مراجعتي لاوراق الاجابة فى الامتحانات بذلت قصارى جهدي لينجح تلميـذ بتفوق فى اللغة العربية فى موضوع الانشاء « انه ان نجـح فى الدور الاول فسيسافر مع أهله لقضاء الصيف فى لبنان الحبيب ، والا فسيقضي الصيف فى القاهرة » . ومـــا دفعني الى انجاحه الا شعوري بمعنى الابوة وهو شعـور لا يتصوره الا من يعانيه !!

واخيرا قلت له : اذا قضى الله أن تموت ـ بعد عمـر طويل ـ فما هو قولك يوم الحساب ؟ فقال : سأقدم الى الله مقالاتي وكتبي التي خدمت بها لغة القرآن والعـرب واسأل : كيف صار الدكتور طه حسين وزيرا للمعارف لانه اشتغل بالتحرير سنة واحدة فى جريدة البلاغ ولم اصر أنا وزيرا مع اني اشتغلت بالتحرير فى البلاغ عشرين سنة ؟.

القـاهرة محمود بن الشريف

وحـــي الربيـــع

بالعهـد وافية ، الســت تراني ؟
تزهو طروبا فى الوجـود وتفتدى
وترى الورود تحـن شـوقا للقا
والغصن من طرب يميـل وفوقـه
وترى النسائم عبرت عن حبها . .
والماء يجري فى الجداول شـارحا

هـذا الجمال يحوم حولك مظهرا
وانـا على حالي ابثـك لوعتي
هلا عرفت الحب صمتا خالصا . .
واذا بـدا منه وميض خـاطف
كل يقول : هوى الربيـع فـؤاده
وانـا يعذبني السـكوت كما ترى
اطوي الجناح على الجراح ترفعا

غرتك دنيـاك الـتي تحيا بهـا
كـل يغني بالربيـع تشـوقـا
وانا على صمتي بمحراب الهـوى
انا فى الثبات على الوفاء فريـدة
تهْ كيف شئت ، تخايلا وتـدللا
خلقت قلـوب للتنقل فى الهـوى
فكمـا عهـدت تعففا وتعاليـا

ها قد ذهبت وعدت ثم وجدتني
صوت الربيع يرن لحنـا خـالدا
هو ملهمي ان غـاب عني او اتى
انا يا ربيع كما انـا فصن الهوى
هـلا مللت طويل هجرك للتي
وتـرى الحيـاة بغير نورك قفرة
بالله لا ترحل . . وكن دوما معي
اما اذا اعرضت عـن مـلل فـلا
لي عزة تأبى المـذلة فى الهـوى
مهما اطلت الهجر سوف تعود لي
انا يا ربيـع محبتي قدسـيـة

يـا ملهمي فى روضـة الالحـان
مرحـا تنمق روعـة الالوان
والطـير تفشي السر للافنـان
الفـان فى الاخـلاص متفقان .
همسـا ، وترتيلا ، وحلو امان .
سر الحياة ، وبهجة الازمـان

فرط الهيـام ، ورقـة التحنان
صمتا . .! واعجزت الشجون بياني
وجوى الهوى القدسي فى الكتمان؟
رغم التكتم ، باحت . . العينان
ويخفف الاشجـان بالتبيـان . .
اطـوي الليالي بالاسى واعـاني
ان يغلب الوجد الدفين لساني

كل يهيم بعبقـري الشـان
شعرا ونثرا فى بـديع معـان
تبدي الدموع حـرارة الايمـان
ما مثل قلبي فى التجلد ثـان . .!
وانـا اصون الود فى اجفاني
ما ذاك فى طبعي ولا حسباني .
صنت الهوى القدسي كالقرآن

هل غير القلب الوفي زماني ؟!
يطغى على الاحساس والوجدان
يبدي الجوى عن لهفة الحرمان
قلبي بـودك دائم الخفقـان
تحيا بنورك فى دجى الاشجان ؟
حب الجمال طبيعة الانسـان
اسقيك بالاخلاص ذوب حنـاني
يرضى ابـائي لحظـة بهـواني
فـارحم بربك عزة الفنـان
تبدي التأسف راجيـا غفراني
من ينشـد الاخلاص لا ينساني !!

مصر الجـديدة

روحيـة القليني

ـ اني لا اصدقك . ابي شريف ، ومن المستحيل ان ينحدر الى هذه الهاوية . ونشجت الام وغمغمت : نعم فعلها . وعندي الدليل .

ـ واين هذا الدليل ؟ .

وفتحت الام محفظتها بيد راعشة وتمتمت : لقد امتهن كرامتي وحطم كبريائي .

وتناول فتحي الورقة المطوية من امه ، وفضها بحركة عصبية والقى نظرة عليها . وتجمعت سحنته ، فالرسالة تتهم الاب باتخاذ عشيقة له ، يغدق عليها المال والحلى ،ويطلب مرسلها فى النهاية من الام ان تفتح عينيها حتى لا يتهدم بيتها على مذبح هذه الخليلة التي استأجر لها شقة فخمة ، واسسها بأفخر الرياش . وكان الامضاء صديقا مخلصا .

وقذف فتحي الرسالة وقد احس بثورة فى اعماقه علىوالده، والتقطتها الام ، ودستها فى محفظتها . وقالت : لا اريد ان افقد الدليل علىخيانته .

ـ الا يمكن يا اماه ان تكون هذه الرسالة وشاية الغرض منها تحطيم بيتنا السعيد .

ـ ولماذا تكون وشاية ؟ انها يا فتحي الحقيقة ، ولهذا سأطلب الطلاق .

ـ واخوتي الصغار ؟

ـ سيكونون فى رعايتي . واعتقد انه يكون مسرورا اذا عاشوا معي ليتفرغ لعشيقته .

ـ وانى لنا المال ؟

ـ البركة فى جدك يا فتحي ،فالاب الذي رباني لن يضني علي بالمال لاحافظ على كرامتي .

واستدار فتحي ، وهم بمغادرة البيت . وقالت امه : اذاهب الى الجامعة ؟ .

ـ لا .

ـ الى اين اذن؟ .

ـ الى ابي .

ـ لماذا ؟ .

ـ لاناقشه الحساب .

وصاحت الام : اني امنعك من الذهاب اليه .

ـ لن اسكت عن هذه الجريمة .

ـ لا يا فتحي . لننسحب من حياته فى سلام .

واتجه صوب الباب ، ولكنها امسكت به وتوسلت اليه ان يبقى . وبكت ، ورق قلبه ، فاستقر على كرسي ، واعتمد راسه بين يديه ، وارسل تنهيدة كليمة وغمغم بصوت حزين : انك احسن ام ، وخير زوجة، ومع هذا يدوس على كرامتك .

ـ لا بد ان يستيقظ ضميره ذات يوم .. وعندها يعلم انه هدم بيته لاجل نزوة مجرمة .

وتلاحقت غصات الام ، ومسحت دموعها بمنديلها ، وضمت ابنها الى



بقلم محمد حاج حسين

صدرها كأنها تلوذ به من هذه المصيبة التي فدحتها وراحت تشم رائحته وتتنسم ارجه ، وتمتمت مأخوذة : انت كل شيء يا فتحي .

ورفع اليها عينين التمع فيهما العذاب وقال : اماه انت حياتي .

ـ انت يا فتحي يومي وغدي وامسي . وما دمت بقربي لن احس اي فراغ لفراق ابيك .

ـ لن افارقك ما حييت يا امي .

ـ وستكون الاب لاخوتك الصغار .

ـ وسترين انني سأكون لهم خير اب .

الان اشعر بالراحة . ليفعل ابوك ما يشاء .

وفى هذه اللحظة دخل الاب



البيت . كان رجلا ضخما عريض المنكبين فى حدود الخمسين قد وخطه الشيب ، ولكنه احتفظ برداء الصحة والقوة من اثر النعمة التي تهينم عليه ، فهو صاحب مصنع للجلود يدر عليه الربح الوفير ، فاطمأن الى حياة رافهة ، ولهذا كان دائم الابتسام تومض السعادة في عينيه ، وتترقرق الطيبة فى وجهه . وجلجل صوته مناديا زوجته : أم فتحي ..

وقالت له الخادم : انها مع فتحي فى غرفته .

واسرع مقتحما غرفة ابنه . وصدمته المفاجئة ، فقد كانت زوجه تبكي ، وفتحي حزين تنعقد تقطيبة مكفهرة على جبهته . ودار بعينيه المذعورتين ، ووقف قليلا ، ثم اقترب منهما ، ومد ذراعه ليضم امراته ، ولكنها ابتعدت عنه تشذره بقسوة . وفتحي يكرهه واملة فى هذه الدنيا أشاح بوجهه عنه ، وقد نطق بالغضب والحقد . والتقط انفاسه اللاهثة وخشي ان يكون الشر اصاب احدا من اولاده فصرخ بانفعال : هل اصاب احدا من الاولاد ...

ولم يستطع أن يتم الجملة . وتفرس ثانية فى زوجه وابنه . وانفرجت شفتاه : لماذا انتما هكذا؟ .

ولم يتلق الرد ، ودنا من فتحي ، وربت خده ، ولكن الابن انتفض ووثب من مقعده وزعق :

لا تلمسني .

واهتز الاب . انها المرة الاولى التي يسمع بها هذه اللهجة من ابنه الذي كان مثالا للرقة والتهذيب

وقال بنغمة آسية : ماذا دهاك يا فتحي ؟

وصرخ فتحي : لا اريد ان تلفظ اسمي بعد الان ..

ـ ماذا دهاكما اليوم ؟ هل فقدتما عقليكما .

ورفعت زوجه اليه عينين معذبتين وقالت : كفى تمثيلا .

ـ ماذا تقصدين ؟

ـ ان حبل الكذب قصير .
ـ ام فتحي .
ـ انك تعيش فى الخديعة والخيانة .
ـ ما هذا الكلام يا ام فتحي ؟
ـ انا اكرهك ..
ـ ولكن ماذا فعلت بحق السماء حتى استحق هذه الكراهية ؟
ـ وتتجرا على الانكار ايضا ؟ .
ـ انكار . ماذا ؟ اني لا افهم شيئا .
ـ لا تتجاهل .
اتجاهل ماذا ؟ .
ـ طلقني بسلام دون ضجة .
وشحب الاب وتعمد جث انفاسه، ودبت القشعريرة فى بدنه ، وتهالك على الكرسي خائر القوى وتمتم : انا متأكد انك فقدت عقلك يا زوجي الحنون .
وهم فتحي ان يقول شيئا،وسارعت الام الى القول : أسكت يا فتحي .
ـ دعيه يتكلم .
ـ ارجوك يا ابراهيم ان تطلقني .
وزاغت عيناه ، وصرخ : ما هذا الجنون ؟
ـ اقول لك طلقني بهدوء ، ولا لزوم للفضائح .
وماج به الغضب . وصرخ : لن اطلقك ابدا .
وتدخل فتحي قائلا : أرحمها يا ابي طلقها .
ـ ماذا اصابك يا فتحي ؟ .
وتنحنح وتابع : انت تعلمين انني تزوجتك بعد حب عنيف . ولم افز بك الا بعد عذاب شديد . ولولا حبك لي لما رضي والدك بهذا الزواج لانني كنت يومها تاجرا صغيرا اشق طريقي بصعوبة . وها قد مضى على زواجنا ربع قرن انشأنا فى خلاله بيتا سعيدا يمرح فيه اولادنا .. فكيف تريدينني ان اهدم كل شيء دون سبب .
ـ كل هذا دسته بقدمك ؟ .
ـ يا حبيبتي . اين عقلك ؟
ـ ضاع .
ـ هل استدعي لك طبيبا .

ـ لا لزوم لانك انت السبب في ضياعه .
ـ وماذا فعلت حتى استحق كل هذا . انني اتحداك ان تذكري لي هفوة واحدة بحقك منذ زواجنا . انني ازداد لك حبا ، واكبارا كل يوم . انك تريدين ان تهدمي سعادتي ،وانا ارفض ان أحفر قبري بيدي .
ـ والجريمة التي اقترفتها هذه الايام ؟ .
وقاطعها : واية جريمة ؟ .
ـ انت تعرفها اكثر مني .
ـ اقسم لك بالله انني لا اعرف عما تتحدثين .
ـ هل يهون عليك بعد هذه العشرة الطويلة ان تمتهن كرامتي .
ـ اعوذ بالله .
ـ ولكنك فعلتها .
ـ ارجوك يا فتحية ان تخبريني عما فعلت .
ـ هل تستطيع ان تنكر ان لك عشيقة ؟ .
وصرخ الاب : صحيح انك فقدت عقلك .
ـ وكيف تدفع هذه الجريمة ؟ .
ـ اقسم لك بالله العظيم ، وبحبي لك وبأولادنا انني قبل ان أتزوجك ، وبعد ان تزوجتك لم تهم نفسي بريبة .
ـ ولكن الدليل عندي ؟
ـ واي دليل ؟ .
وفتحت محفظتها والقت الرسالة بين يديه ، وتصفحها بسرعة ، وافتر ثغره عن ابتسامة راضية . وقال : ما اوهى هذا الدليل . انظري التاريخ . أنه اول نيسان . ومعنى هذا انها مزحة .. وكذبة من العيار الثقيل .
ـ ولكن هذا القول لا يطمس الحقيقة
وتعالت قهقهته وقال : الحمد لله : ان هذه الرسالة برهنت عن حبك لي .
ـ ولكنها لم تبرهن عن حبك لي .
ـ سأريك الدليل الذي لا يقبل الشك .
وتناول الهاتف واداره ، ثم اخذ

المسماع وقال : فوزي . احضر حالا الى البيت لانك كدت تخربه .
ووضع المسماع ضاحكا وهمهم : بعد قليل ستلمسين الحقيقة .
ـ ومن فوزي هذا ؟ .
ـ انه اخوك يا روحي .
ـ وما شأنه ؟
ـ ستعرفين منه كل شيء .
ودخل فوزي ضاحكا ، وصاح الاب : اصلح غلطتك بسرعة يا فوزي .
وتزايدت ضحكته وقال : الم يحدث الطلاق بعد ؟ .
ـ انها تطلبه بالحاح .
ـ ولماذا لا تطلقها ؟ .
ـ عجل باطفاء النار التي اشعلتها بيدك .
ـ وما شأني انا ؟ .
ـ لا مزاح فى الحب يا فوزي . قل الحقيقة وامزح بعدها كما يحلو لك .
والتفت فوزي الى اخته وقال : سامحيني يا فائزة .
ـ على ماذا ..
ـ لانني كاتب الرسالة .
ـ وماذا يعني هذا ؟ اليست وقائعها حقيقية .
ـ لا تكوني مجنونة . أن عندك احسن زوج فى العالم .
ـ ولماذا كتبتها اذن ؟
ـ لانني منذ شهر كنت امازحه ، واقول له : لا بد ان اجعل اختي تطلب الطلاق . وتحداني زاعما ان حبكما القوي لا يمكن ان تهب عليه الاعاصير . واغتنمت فرصة اول نيسان حيث الكذب حلال . وارسلت اليك هذه الرسالة . وانذرت صهري العزيز قبل ثلاثة ايام بانك ستطلبين الطلاق .
وتهللت قسمات الزوجة وقالت ضاحكة : انه مزاح ثقيل .
والتفت اليها الزوج وقال : هل صدقتيني يا ام فتحي ؟.
ـ انك احسن زوج .
واندفع فتحي الى ابيه ، ودفن

قلب في المساء

أيه ايها الليل
« يا ربانا اعمى لسفينة تائهة »
مراكب حزنك السوداء
دعها تهوي الى قعر العالم
فالجسد الاسمر تعرى .

ايها الكوخ الجاثم في صمت
مثل قلبي
رياح الشتاء المحملة باحزان العالم
ادفنها في تربة حقولك المزروعة بالاشواك
فالجسد الاسمر تعرى .

يا فتيات الليل المتسكعات بذلة
فوق ارصفة الشوارع المهجورة
افسحن لي دربا عبر ازقة الرماد والوحشة
كيما ابلغ مكامن النشوة والتلذذ
في الجسد الاسمر الحار المتعري
حيث اعشق الارتماء
فقلبي لم يعد يتسع لمزيد من الاحزان

أيها القمر القابع في جوف القبة الرمادية
كعذراء بين فكي تنين
بعثر غيوم الكآبة السوداء
وانثر ازاهير الفرح
فوق حقول البلاهة والتسكع
اسرق وميض نجومك المتشردة
كعذراوات في عيد الميلاد
لتضيء به قناديلي الآخذة بالشحوب .

يا أبراج الكنائس المهجورة
كفي عن قرع نواقيسك المترنحة
مثل تائهة في شارع شتائي
دقي اجراس الفرح والنشوة الاسطورية
بددي احزانا تراكمت كضباب الامسيات الماطرة
الغبار – يا ابراج الكنائس المهجورة –
تراكم .. تراكم
وانا عنكبوت ابحث عن ذبابة
تراكم .. تراكم
وانا ما زلت اتسكع على الارصفة السوداء الميتة
تراكم .. تراكم
يا غربان المساء الجائعة
كفي عن النعيق
تراكم .. تراكم
ياحقول الثلج المتساقط من سقف العالم
لا تدعي ذئاب الشيخوخة تعوي
فانا ما زلت فتيا كهرقل .

دمشق **صفوان قدسي**

راسه في صدره وهتف : سامحني يا ابي . ان عقلي قد طاش عندما قرات هذه الرسالة الملعونة .
وقبله ابوه . وقال : الحمد لله . جاءت على خير .
والتفت الى فوزي قائلا : الم اقل لك ان حبنا لا تقوى عليه الاعاصير .
– ولكن كيف السبيل الى تعكير صفو هذا الحب ؟
– السبيل الوحيد الا تتدخل بما لا يعنيك .

القاهرة **محمد حاج حسين**

نـظـيـر زيـتـون

بقلم وديع فلسطين



المجد الذي شاده للضاد في المهجر الاديب العربي الكبير نظير زيتون* يجل حتى عن الاشادة به والايماء الى سماته وخصائصه فقد نذر حياته منذ مطالع شبابه الى عنفوان شخوخته لخدمة اللسان اليعربي كاتبا وخطيبا ومترجما وصحفيا وروائيا ونقادة ومؤرخا وراصدا للحركات الادبية في أقطار الهجرة في امريكا اللاتينية جميعا .

ذهب نظير زيتون الى البرازيل وهو ابن اربعة عشر عاما، وكان مراده ان يعمل بالتجارة شأن غيره ممن سبقوه وغيره ممن لحقوا به من ابناء حمص وغيرها من مدن الشام . ولكن انى لمن كان الادب طبعه وطبيعته ان يروض النفس على معاطاة التجارة وتداول المال ؟ فلم يك عجبا ان يزور عن دنيا قوامها المادة ، وان يقبل على دنيا اخرى قوامها الروح . فاشتغل بالصحافة والكتابة ، وكان نجاحه فيهما بتوجيه أستاذه الجليل رشيد عطية اكبر دافع له على مصاحبة القلم ومنادمة الادب ومعاطاة الكتاب وارتياد مجالس الادباء ، حتى كان واحدا من الماهدين الرواد الاعلام . فهو من مؤسسي «العصبة الاندلسية» التي احيت اندلسا جديدا في «صنبول» ، وهو امين سرها وحافظ عهدها ، وهو قلمها المجلي في دوريتها المترفة ، وهو لسان من ابلغ السنتها وقطب كبير من اقطاب رحاها . وكان الى ذلك خطيبا للنادي الحمصي ، يهز اعواد المنابر بسحر بيانه وقوة عارضته الادبية وترف اسلوبه واعجازه في السجع المحبب. وكان رئيسا لتحرير مجلة «فتى لبنان» التي أنشأها العلامة اللغوي رشيد عطية ، وظل امينا على اداء هاته الرسالة في السنوات العشرين الاخيرة من تاريخ المجلة . وكان بؤرة تتجمع فيها خيوط الاتجاهات الادبية ، فهو الساعة الدقاقة التي تحصي على المهجريين خطواتهم في مجال الادب ، وهو المرصاد الذي يرصد النجوم ويرصد كذلك الشهب في افق البيان ، وهو الناقد الذي يقول قولة الحق فتخرس الالسنة ، وهو الصوت المدوي في مواقف الوطنية والانسانية ، وهو الاديب المنطق الخصب الذي اخذ من البحر فيضه ومن القمر ضوءه ومن الوحي الهامه ومن البيان سحره ، فصار الاديب نظير زيتون غير محدود طولا وعرضا وعمقا ، وهيهات هيهات ان نلم بطرف من اطراف مجده الادبي في عجالة كهذه .

قال عنه زميله الشاعر المهجري جورج صيدح : «ان قلم نظير زيتون من أقوى الاقلام العربية وارفعها ادبا في المهاجر الاميركية واوطان الضاد . عرفناه قوميا مناضلا، ومنافحا عن الحريات باسلا، ثوري الشرعة، انساني النزعة . ورأيناه في النقد كاتبا عميق الاغوار ، بعيد المضمار ، يحطم الاصنام ويمزق الاوهام ويدفع الاذى عن الادباء الاعلام . كما رأيناه في ادب المقال ينير السبيل ويغذي الافهام ، وفي التاريخ والاجتماع ذلك الجهبذ السديد النظرات، الرفيع الغايات» (١)

وما هذه الا شهادة من شهادات بليغة كثيرة ضفرت على راس نظير زيتون اكاليل الغار ، وزينت صدره برصيعة ادبية هو بها حقيق خليق . فقد اتسع صدر نظير زيتون لمعاني الحب جميعا ، ولم يضق الا بالجاحدين او المدعين او المتألهين او العابثين او الذين يغمسون اقلامهم في مداد من زعاف الحقد . ومن ثم راينا نظير زيتون متطوعا سباقا يدافع عن عرض الضاد ويذب عنها غيلة العاجزين ، ورأيناه ذيادا عن اعلام المفكرين ونوابغ الادباء حين يجترىء عليهم احد بقولة سوء او دعوى كيد . فكان المحامي المدره عن ادب المهجر كله يوم رماه رام «بالازورار عن الذوق العربى السليم» (٢) ، وكان منصفا وفيا لاستاذه رشيد عطية ولزميليه الشاعر القروي رشيد سليم الخوري والياس فرحات ولرصيفه عادل زعيتر ولصديقه فتح الله الصقال ولصفيه سامي الكيالي ، وكان ولا يزال اماما من ائمة الصناعتين ، سريع الغضب لكل ما يمس الضاد من ضيم ، باطشا بكل من يتوسم فيه ثعلبة او يرى منه في حلبات العربية تلاوصا ومراوغة . وكل هذا في اسلوب أعف من لسان البتول ، وبغيرة تتقد فترسل شواظا لاذعا بل فتاكا ، اما سخريته حين يتوسل بها للزراية بكل من يضع نفسه في مواضع الزراية ، فهي سخرية نظير زيتون الموسومة «من وراء القبر» التي كانت اخر نتاجه الادبي ، ولن تكون ابدا اخر نتاج لنظير زيتون المترسل الولود في عوالم الادب.

وينقسم أدب نظير زيتون في مهجره وفي ما بعد الهجرة – وقد آب الى موطن رأسه ومنبت فرعه حمص في عام ١٩٥١ بعد سبع وثلاثين سنة مهجرية فعاد الى اهله وهو على ابواب العقد السادس من عمره المديد – الى اربعة رؤوس متداخلة ، ودع عنك المطولات الصحفية والمطارحات الادبية التي طفحت بها الدوريات في أمريكا الجنوبية وفي الوطن ، بل في امريكا الشمالية كذلك . اما هذه الرؤوس الاربعة فهي : ادب روائي ، وادب تاريخي ، وأدب نقدي ، وأدب ديني . وهي رؤوس متداخلة لان روائيات نظير زيتون تستند الى التاريخ ، وتاريخياته تتوخى النقد ، ونقداته تتصل بالروائيات والتاريخيات ، ودينياته فيها روائية ونقد . فلئن اردنا احصاء مصنفاته ومؤلفاته اوردنا منها « ذنوب الاباء » و« هيرودس الكبير » و« يسوع المصلوب » و« النبي الابيض » و« الشعلة » و« من وراء

---

* من كلمات الترحيب بالاستاذ نظير زيتون عند زيارته القاهرة

(١) من كلمة لجورج صيدح في تقديم رواية «من وراء القبر» لنظير زيتون

«٢» مقدمة عزيز اباظة لكتاب «الشعر العربي في المهجر» من تأليف محمد عبد الغني حسن

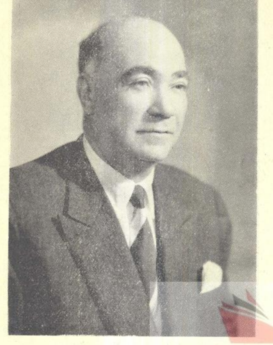
القبر » و« الشيخ رشيد عطيه : حرف عربي من لبنان في المهجر الاميركي » و« رسالة في استقلال البرازيل والامبراطورية الاولى » و« روسيا في موكب التاريخ » وهو سفر ضخم في جزءين كبيرين . كما انه ترجم عن البرتغالية « مركيزة سنطوس » وعن مكسيم جوركي رواية « ابن الله » .

وتتميز هذه المؤلفات جميعا بنصاعة بيانية وضاءةوديباجة لغوية مشرقة وعمق فلسفي بصير ومنطق في الاستنتاج والاستقرار أخاذ . ولعل الشيء الوحيد الذي يؤخذ على نظير زيتون هو اسرافه في الاحكام لا عن استخفاف او ابتسار ، بل عن عقيدة وايمان . فاذا آمن بقضية ما ، كان في الذود عنها اشد حماسة من النبي المرسل . واذا ابغض شيئا ، كان في اعلان الحرب عليه اعنف من شيطان رجيم . فقل ان يتوسط الامور ، وناهيك عن المجاملة ، فانه لا يحسب لها حسابا ان جاءت على مذبح الضمير الادبي . ولكن يعصم نظيرا من شطحات التطرف الجامح أن له من ذوقه الادبي الرهيف وحسه الفني الشفيف وثقافته الانسانية الموسعة وموازينه النقدية السليمة ما يجعله يجيل النظر في كل قضية قبل ان يتخذ منها موقف الخصيم العنيد او موقف النصير الشديد .

عالج نظير زيتون الشعر في مرحلة من مراحل عمره(٣)، ثم انصرف عنه الى ابواب الادب الاخرى ، وربما كان ذلك لانه يريد دائما ان يكون مقامه بين البواشق في القمم السامقات . ولكن في شخصيته وفي اسلوبه شاعرية وضيئة . فهو يتحلى بالوداعة الاسرة ، وقد ارخ للمهجريين من رفقائه جميعا الا نفسه ، وكتب عن « حمص في المهجر » ولم يغفل في احصائه الدقيق الا اعلم الحمصيين وهو نظير زيتون . ورسائله الخاصة الى اصدقائه ، وعندي منها عشرات أثيرات ، تشيع رقة وظرفا وكياسة ويفوح منها أرج المحبة الصافية والود الاكيد والادب الاصيل، مع اناقة في اختيار الالفاظ لا تباريها الا اناقة الصائغ وهو يتخير اكرم الحجارة لعقد نضيد .

ولعل الاحجى ، وقد شوقنا معاشر الادباء الى درر نظير زيتون ، ان نستشهد من نثره بنموذجين يعبران اصدق تعبير عن منهاج هذا الاديب الكبير الملهم . فقد تحدث عن ادب المهجريين في البرازيل فقال :

« وهذا الادب الذي نشده مفكرونا وشعراؤنا وصحافيونا في البرازيل لا يتعرف باللغويين والصرفيين والنحويين والعروضيين – العلماء – الذين يمثل واحدهم نسخة كاملة او ناقصة من كتب سيبويه والخليل والفيروزابادي ، ولا يتعرف أيضا بالمحافظين الجامدين الذين استأخرهم عصرهم فعاشوا في بيئة تقدمهم اجيالا ، ولم يستطيعوا



نظير زيتون

الاندفاع في نفسيتها أو اللحاق بركبها وتفهم واقعها وروحانيتها ، وانما يتعرف بالحياة وحدها ، الحياة التي لا حد لها ولا قياس ، الحياة بلبابها لا بقشورها ، الحياة بكل مظاهرها المحسوسة وغير المحسوسة ، والمنظورة وغير المنظورة فيرتاد هذا الادب نجعتها ، ويمرح في واحتها ، ويستقي من كوثرها ، ويجني من ثمارها . بلى ، وللحياة ايضا صحراؤها بشمسها اللاذعة ، ولها جبالها بقممها المرتفعة المنطادة في الجو ، وأوديتها العميقة السحيقة الهاجعة في فراش الاسرار ، بلى ، ولها ايضا اعاصيرها ومدها وجزرها وورودها وشوكها » (٤) .

وقال في مناقشة الذين عدوا على ادب المهجر :

« واذا كنا نلقى بين المتحاملين على الشعر المهجري ادباء كبارا اكفياء ، فهؤلاء لا نخاطبهم العاطفة والقلب والحب كما خاطبهم الشاعر القروي ، وانما يحلو لنا ان نفتح قلوبهم المغلقة وأذهانهم الغافلة بالنقاش الادبي المجرد من النعرات والتعنت ، بالنقاش الرصين الحكيم المدعوم بالحجج والبراهين والادلة ، لا بالمزاعم والاوهام والتصورات الكيفية، وعندئذ لا بد ان تتكشف لبصائرهم واذهانهم روعة الشعر المهجري وفتنة الادب المهجري وعظمة الدولة الادبية التي انشأها السوريون واللبنانيون في العالم الجديد .

(٣) «ادب المهجر» لعيسى الناعوري – ص ٥٤٥

(٤) من مقال لنظير زيتون عنوانه «الادب العربي في البرازيل»– مجلة «القلم الجديد» الاردنية – اغسطس ١٩٥٣

« اننا لا نحصر العبقرية في شعراء المهجر ، ففي سوريا ولبنان والعراق ومصر والاردن شعراء اعلام تحنى لهم الهام . ولا نادي بزعامة الشعر المهجري ، والميادين كثيرة ولكل ميدان زعامته . ولكننا نصر على ان نجلو للعالم العربي ، ومصر في الطليعة ، بدائع الشعر المهجري وروائعه وخصائصه المشرقة ، وميزاته الرفيعة وخلجاته المتدفقة والوانه واساليبه ومذاهبه ، وبالتالي مدارسه الجديدة التي قامت على قواعد الفصحى ، وانطلاقات الفكر والقلب والروح ، فكان بقوته وخصبه وروائه كأدواح الغابات وورودها وأزاهيرها وثمارها ابنة الشمس والعواصف وثورات الطبيعة الارض البكر » (٥) .

والواقع ان نظير زيتون بتفرغه للادب وانصرافه الى استقصاء اتجاهات الادب في المهجر الجنوبي بوجه خاص ، واتصاله اتصالا وثيقا بجميع ادباء المهجر في اميركا اللاتينية قد بات حجة ثقة لا يعلى عليها في تاريخ ادب النصف الجنوبي لنصف الكرة الغربي . ولئن كان الاديب نظير قد سجل في الدوريات الذائعة الانتشار جوانب من تلك الحركات الادبية الناهضة الخلاقة المبدعة المجددة ، فان هناك امانة لا نخاله الا حاملا اياها لتسجيل التاريخ الصحيح لزملائه المهجريين ، مكملا ما ربما فات غيره من مسجلي اخبار النهضات الادبية في البرازيل والارجنتين وفنزويلا وشيلي والمكسيك وما اليها .

وقد ظل نظير زيتون قرابة اربعين سنة يكتب بالضاد في بلاد لا مستقبل للضاد فيها ، ولكن ذلك لم يثنه عن الهيام بالعروبة ادبا وتراثا وتاريخا ولسانا وقومية ووجدانا . وها هوذا منذ عودته من المهجر عودة نهائية يوالي نشاطه الادبي في عزلة عن الناس واستعلاء على المناصب . وكان مثله خليقا بأن يكون عضوا عاملا مشرفا منتجا غيورا في مجامع اللغة ومجالس الفنون حيث ينطقون بالضاد ويعرفون حلاوة اللغة التي بها لهج لسان النظير ، وببلاغتها انطلق قلمه يسود الصفحات المطولات بل المعلقات . ونخشى ان يقال ان البيئة التي لا تعرف حرفا ضاديا عرفت قدر زيتون ، ولا كذلك عرين العروبة .

ولا يسعنا وقد وجدنا حبيبنا نظير زيتون بيننا زائرا مبادئا كريما الا ان نرحب به من القلب قبل ان نرحب به بنطق اللسان . فقد قرأناه واصطفينا ادبه ونعمنا بوداده على اديم المراسلات واجتلينا طلعته لاول مرة منذ هبط ذوينا لايام خلت ، فصدق الخبر الخبر . فأهلا به رسولا للعروبة ، واكرم به من اديب موطنه موطن النجوم .

القاهرة — وديع فلسطين

(٥) من مقال لنظير زيتون عنوانه «شعراء المهجر واصداء المعارضة في مصر» – «الاديب» – سبتمبر ١٩٥٦ ص ١٣ ، وقد اعيد نشره في ذيل كتاب «ادبنا وادباؤنا في المهاجر الاميركية» لجورج صيدح – الطبعة الثانية

ابي ...

انه ليس اباك .. بل هو ابي !..
ابي ؟ يا لها من كلمة ترن كدقات النواقيس
في يوم غائم مطير ، فتتنكب اجنحة الروح الهوج
وتتنقل من مكان الى مكان
حتى تنصب في اذني ...
ويدور رأسه ، فيلوب على نفسه
بدون ان يعرف الطريق .. منذ فقد ابويه ،
فقد صحبة الحبيب والرفيق ...
واندفع الى عمه لعله يجد فيه رائحة ابيه
ولكن ابن عمه الصغير دفعه بيديه وصاح :
انه ليس اباك .. بل هو ابي !
اين انت يا ابي ؟ لا احد هناك ..
كلهم غرباء ، لا يملأ محلك سواك ،
حتى عمي يردني عنه ليعانق ابنه الصغير ..
اين انت يا ابي ؟ لم تركتني في بحر متلاطم الامواج
يتقاذفني ذات اليمين وذات اليسار ،
وعبثا افتش عن المرفا الذي تتثبت به قدماي
وتتمسك به يدي ...
وتغشى عينيه الدموع ، وينشق صدره
عن زفرات حرى تتجدد كل يوم ...
وتطير كلمة ابي على اجنحة الريح من مكان الى مكان
لتنثال عذبة منغمة من فم كل طفل
ما عدا فمه ...
ولكنها تدق دقات النواقيس في رأسه ،
وتذوب كالنار في دمه ...
وينظر اليتيم الى العلاء متسائلا :
لم ترك وحده هكذا بدون ابوين يعطفان عليه ،
ويمدان ايديهما بلهفة وشوق اليه ، ككل الصغار
ولكن سؤاله يبقى بلا جواب ...
وتزداد ضربات النواقيس عنفا وقوة في اذنيه ،
ويمد اصابعه الهزيلة ليمسح دموعه بكفيه ...
وتتراقص احرف متوهجة امام عينيه ،
هي : كلمة ابي !..

تونس — ناجية ثامر

الفكاهة والضحك

بقلم شفيق طبارة

الفكاهة جمعها فكاهات والكلمة مأخوذة فى الاصل من التفكيه اي اطعام الفاكهة . ثم استعيرت هذه اللذةالجسدية الذوقية التي يشعر بها آكل الثمر الى المبهجات العقلية والنفسية فقالوا : فكه الرجل القوم بملح الكلام اي اطرفهم بحديثه وهو فكه اي طيب النفس ضحوك السن والتفاكه التمازح .

وفى كتب اللغة مترادفات كثيرة لكلمة الفكاهة وكلها تدل على المستظرف من الكلام وقالوا ملح الشيء من باب ظرف وفلان مليح اي حسن الصورة واستملح الشيء استحسنه وكلها يمكن ادخالها تحت المصطلح الذي يدور عليه موضوعنا وهو الفكاهة والضحك .

ويقابل كلمة الفكاهة فى اللغة الفرنسية (هومور) وهذه على ما قيل مشتقة من اصل لاتيني معناه افراز غددي كان يعتقد أن له سببا فى اثارة الامزجة المختلفة للجسم . وفى طب العصور الوسطى كانت كلمة (هومور) تستعمل للدلالة على زيادة عصارة من العصارات الاربع التي يفرزها الجسم واثر تلك الزيادة فى اخلاق الشخص العامة .

والضحك والفرح من العوامل المؤثرة فى الفكاهة . وقد اكتشفت المصادر الطبية فى العصر الحديث ان للضحكة الواحدة اكثر من فائدة صحية تعود على الانسان بحيث تخفف توتر الاعصاب وقالوا فى تعليل ذلك أن النفس العميق الواحد يدفع الى الصدر بنحو خمسماية سنتيمتر مكعب من الهواء النقي . وان الضحكة الواحدة تدفع الى الرئتين بنحو ثلاثة آلاف سنتيمتر مكعب من الاوكسجين . واننا حين نضحك من اعماق قلوبنا لنكتة رائعة او نادرة بارعة انما نتعاطى جرعة من دواء طبيعي حلو المذاق يعود على اكثر اجهزة جسمنا بالصحة والنشاط .

والحق ان الفكاهة والضحك والابتسام والمزاح والدعابة والنكتة والنادرة والهزل ان هي الا ظواهر نفسية من فصيلة واحدة اختص الله بها البشر واجاد بها عليهم حتى يعزيهم عما لديهم من هموم الحياة . وهي فى الجملة بمثابة دواء مطهر يزيل من النفس ادران الهم والقلق واليأس والحقد والتشاؤم .

وهذا نيتشه يقول : «لماكان الانسان هو اعمق الموجودات الما فقد كان لا بد له ان يخترع الضحك وان اكثر الحيوانات تعسا وشقا هو بطبيعة الحال اكثرها بشاشة وانشراحا » ويعود فينادي على لسان نبيه زرادشت قائلا : « لقداتيت لكم بشرعةالضحك فيا ايهاالانسان الاعلى تعلم كيف تضحك»

ولسنا هنا بمعرض بيان أسباب الضحك وتعليل الفكاهة وانما حسبنا ان نذكر ان احصاءات شركات التأمين على الحياة قد دلت ان امل الرجل المهموم بطول العمر ليس الا بمقدار ثلث عمر الرجل الذي لا يجعل للهموم سلطانا عليه وفوق هذا فقد لوحظ ان اكثر الناس فكاهة هم اكثرهم صبرا على الحياة لانهم يطاردون الهم بدوائه الصحيح والهم – وقاك الله منه – يخترم الجسم ويشيب الولدان كذلك قال الشاعر :

والهم يخترم الجسيم نحافة ... ويشيب ناصية الصبي ويهرم

ثم ان طبيعة النفس البشرية الارتياح الى كل ما يشيع فيها الفرح والضحك . وقديما مدح العرب بقولهم هو ضحوك السن بسام الثنايات . وحفل الادب العربي قديمه وحديثه بأحلى الفكاهات وزخر بنوادر الشخصيات الفكهة. وقد علل (النويري) صاحب (نهاية الارب فى فنون الادب) لايراده كثيرا من الفكاهات والنوادر والملح فى كتابه بقوله (فيه راحة للنفوس اذا تعبت وكلت ونشاط للخواطر اذا سئمت وملت لان النفوس لا تستطيع ملازمة الاعمال بل ترتاح الى تنقل الاحوال فاذا عاهدتها بالنوادر فى بعض الاحيان ولاطفتها بالفكاهات فى احد الازمان عادت الى العمل الجد بنشطة جديدة وراحة فى طلب العلوم مديدة . وهذا مأخوذ من قول النبي العربي عليه السلام (روحوا القلوب ساعة بعد ساعة فان القلوب اذا كلت عميت) .

وقد روى فيما روى عن الحسن البصري انه قال (حادثوا هذه القلوب فانها سريعة الدثور واردعوا هذه الانفس فانها طلعة وانكم ان لم تردعوها تنزع بكم الى شر غاية) وقيل الانسان حيوان ضاحك باك بطبعه . وان الله قد خلق فيه الضحك قوة تعينه على استساغة هذه الحياة المريرة كما خلق فيه البكاء قوة تقف به موقف العظة والاعتبار . وقيل ان يحيى بن زكريا لقي عيسى عليه الصلاة والسلام فقال ما لي اراك لاهيا كأنك آمن فقال له عيسى : ما لي اراك عابسا كأنك آيس فقالا لا نبرح حتى ينزل علينا الوحى فأوحى الله اليهما ان احبكما الي الطلق البسام .

وروى ان النبي كان من افكه الناس وكان يمزح ولا يقول الا حقا . وقال خالد بن صفوان : لا بأس بالمفاكهة تخرج الرجل من حال العبوس . وقال رجل لابن عيينه : المزاح سبة فقال بل سنة لمن يحسنه. ووصف رجل عند ابن عائشة فقيل هو جد كله فقال ابن عائشة : لقد اعال على نفسه وقصر لها طول المدى ولو فكهها بالانتقال من حال الى حال نفس عنها ضيق العقد ورجع الى الجد بنشاط . وقال الرشيد : النوادر تستحد الاذهان وتفتق الاذان وقيل ان النفس تمل من ملازمة الجد وترتاح الى بعض المباح من اللهو وعن النبي انه قال : الحنظلة ساعة وساعة . وقال : الهوا والعبوا فاني اكره ان يرى فى دينكم غلظة . وعن علي انه قال : روحوا القلوب بطرائف الحكم فانها تمل كما تمل الابدان وقيل الناس فى سجن ما لم يتمازحوا .

وقد عرض الجاحظ للضحك في بعض كتبه فقال : (ما ظنك بالضحك الذي لا يزال صاحبه في غاية السرور الى ان ينقطع سببه . ولو كان الضحك قبيحا من الضاحك وقبيحا من المضحك لما قيل للزهرة والحبرة والحلى والقصر المبني كانه يضحك . وقد قال الله جل ذكره « وانه هو اضحك وابكى وانه هو امات واحيى ») فوضع الضحك بحذاء الحياة ووضع البكاء بحذاء الموت وانه لا يضيف الله الى نفسه القبيح ولا يمن على خلقه بالنقص . وكيف لا يكون موقعه من سرور النفس عظيما ومن مصلحة الطباع كبيرا وهو شيء من اصل الطباع وفي أساس التركيب لان الضحك اول خير يظهر من الصبي وبه تطيب نفسه وعليه ينبت شحمه ويكثر دمه الذي هو علة سروره ومادة قوته . ولفضل خصال الضحك عند العرب تسمي اولادها بالضحاك وبسام وبطلق وبطليق . وقد ضحك النبي وفرح وضحك الصالحون وفرحوا . واذا مدحوا قالوا هو ضحوك السن بسام العشيات وهش الى الضيف وذو اريحية واهتزاز واذا ذموا قالوا هو عبوس وهو كالح وهو قطوب وهو شتيم المحيا وهو مكفهر ابدا وهو كريه ومقبض الوجه وحامض الوجه وكانما وجهه بالخل منضوح . وللضحك موضع وله مقدار وللمزح موضع وله مقدار متى جاوزهما احد وقصر عنهما احد صار الفاضل خطلا والتقصير نقصا . فالناس لم يعيبوا الضحك ولم يعيبوا المزاح الا بقدر . ومتى اريد بالمزاح النفع وبالضحك الشيء الذي جعل له الضحك صار المزاح جدا والضحك وقارا .

وقال في موضع اخر : (جعلت العرب الحديث والبسط والتأنس والتلقي بالبشر من حقوق القرى ومن تمام الاكرام وقالوا : تمام الضيافة الطلاقة عند أول وهلة وقيل : حاجة المنطق الى الطلاوة والحلاوة كحاجته الى الجلالة والفخامة وان ذلك من اكبر ما تستمال به القلوب وتنثني اليه الاعناق وتزين به المعاني) .

وننتقل من هذه التوطئة الى الكتاب المقدس . فنظرة واحدة نلقيها على ماورد فيه كافية ان تجعلنا ننزل الفكاهة والعوامل المؤثرة فيها من نفوسنا منزلتها اللائقة . فاسمع كيف اوصى المصلحون الناس ان يروضوا انفسهم على ان يبتسموا للحياة ويتجنبوا بقدر الامكان الكآبة والغم ليدركوا جمال الوجود ويستطيعوا قطع مراحل الحياة على الوجه الاكمل .

جاء في سفر كلوسي ٤ : ٦ ما ياتي (ليكن كلامكم في كل حين مفكها بملح لتعلموا كيف يجب ان تجاوبوا) وزيادة للايضاح اقرا الامثال ١٦ : ٢٢ (الكلام الحسن شهد عسل حلو للنفس وشفاء للعظام) وكذلك ٢٣ : ٢٥ (الغم في قلب الرجل يحدبه والكلمة الطيبة تفرحه) وكذلك ١٥ : ١٣ (القلب الفرح يجعل الوجه طلقا وبحزن القلب تنسحق الروح) ولا نزاع في انه متى استولت الاحزان على المرء تنحط قواه النفسية ويضعف بالتالي جهاد جسمه ولا تبقى فيه المناعة الكافية لتحمل الاحداث الطارئة والتغلب عليها وفضلا عن ذلك فانه يصبح ابعد الناس عن رخاء البال واطمئنان القلب وراحة النفس التي هي في الواقع عماد السعادة والهناء في هذه الحياة . وقد اوضح سليمان الحكيم هذه النظرية في الامثال ١٨ : ١٤ حيث قال (روح الانسان تتحمل مرضه اما الروح المنسحقة فمن يحملها) .

وورد في الجامعة ٩ : ٧ (كل خبزك بفرح لان الله منذ زمان قد رضي عملك) وفيها ٣ : ٢٢ (رايت انه لا شيء خير من ان يفرح الانسان باعماله) ثم اقرا سفر يشوع بن سيراخ ٣٠ : ١٤ وما يليه (لا سرور يفوق فرح القلب . الموت افضل من الحياة المرة والسقم الملازم . لا تغم نفسك ولا تضيق صدرك بافكار . سرور القلب حياة الانسان وابتهاج الرجل طول الايام . احبب نفسك وفرج عن قلبك وانف الحزن عنك بعيدا . فان الحزن قتل كثيرين وليس منه فائدة . الغيرة والغضب يقصران الايام والغم ياتي بالشيخوخة قبل الاوان) وفيه ايضا ٣١ : ٢٥ و ٢٨ و ٢٩ (ابتهاج القلب وسرور النفس هما الخمر الجيدة لمن شرب منها في وقتها ما كفى . مرارة النفس كالافراط في شرب الخمر تهيج غضب الجاهل لمصرعه وتقلل القوة وتكثر الجراح) .

ثم اسمع ما اوصى به بولس الرسول في رسالته الى اهل فيلبي ٤ : ٤ (افرحوا يا اخوتي في كل حين واقول ايضا افرحوا) ومما يلاحظ ان بولس الرسول مدح الفرح في حين كان يقاسي العذاب ويعاني ضروب الاضطهاد والتشريد . وبعد بولس الرسول جاء يعقوب فمدح بدوره الفرح حتى في التجارب . والواقع ان الغبطة تزيد الحيوية وتنشط الجسد وتهدىء الروح فاسمعه في رسالته ٣ : ٤ يقول (احسبوه كله فرحا يا اخوتي حينما تقعون في تجارب متنوعة) ومدار الكلام في هذه الوصايا يرجع الى تقرير حقيقة نقصد من ايرادها هنا ان ننفي ما علق بالاذهان من ان الفكاهة والمزاح حديث لغو وثرثرة وان فرح القلب واظهار السرور من الامور الممدوحة شرعا واذا كان الصبر فضيلة فالفرح في نظرنا فضيلة ايضا لانه خير ملطف لمرارة الحياة التي تطغي في كثير من الاحيان على الايمان .

وهكذا يجمل بنا ان نغتنم فرصة هذه الحياة ونتمتع باطايبها قبل فواتها على ان يكون ذلك في حدود الخير وضمن دائرة العقل والاتزان مع التحفظ والابتعاد عن مواطن الريب اذ ذلك خطة من لدن الله . اما الذين يجعلون للهموم سلطانا عليهم فلا يطمئنون الى شيء ويعتقدون مخطئين انهم وجدوا في هذه الحياة للعذاب والاكتئاب مع ان آلامهم الموهومة تجعلهم يرتعدون قلقا لاتفه الامور وتصور لهم مخيلتهم المضطربة الاشياء جميعا بصورة قاتمة فيقصرون ايامهم بالخوف والشك والتشاؤم . وهذا النوع من القلق والاضطراب هو علة الهموم والاوهام التي

تأمـــــلات

ذات ليـل محلولـك الاستار　　　رحت فى غمـرة من الافكــار
اتملى مظاهر الكـون حولـي　　　مستشفـا مـا فيه مـن اسرار
فى امتداد الفضاء .. فى ظلمة الليـل ، ومسرى النجوم والاقمـار
ومرور الهـواء ان رف هفـا　　　فا .. وان هب صاخب الاعصار
وابتسام الورود فـي يقظة الفجـر لقطر النـدى وضوء النهـار
ونشاط الفراش والنحل في الرو　　　ضة تجنـى مراشـف الازهـار
فى دبيب النمال تطلـب رزقـا　　　فى صميم الصخـور والاحجـار
فى الطيور العجماء تبني وكـورا　　　وتحس الحنيـن ... للاوكـار
فى اجتلاب القطـا لافراخهـا الزغـب غـذاء يـزق بالمنقـار
فى وجيب القلـوب ليس لها مـن　　　ممسك غير قابـض الاعمـار
فى انتقـال الجنين من عالم الغيـب الـى عالم الضجيج المثار
فى رحيل الاسمـاك فـي ظلمة البحـر سحيق الابعـاد والاغـوار
فى انشقاق البـذور ان مسها المـا　　　ء وجـادت بباسـق الاشجـار
وانفتـاح البراعـم الخضر عن ور　　　د عديـد الالـوان او نـوار

* * *

اي سر محجـب غلـف الكـو　　　ن ؟ وماذا يدور خلف الستـار
ذلك السر كيف يخفـى علينـا　　　وهو ملء الاسماع والابصـار
واذا هاتـف يـرن صـداه　　　بين جنبـي صادرا من قـراري
جـل ربـي مقـدر الاقـدار　　　مولج الليـل قدرة في النهـار
رب : هذا الوجود من صنع كفيـك دليـل الاعجـاز والاقتـدار
قد تجليت فـي السمـاوات والار　　　ض .. وما بينها .. وتحت البحار

القـاهرة　　　**عفيفي محمود**

تنشا عنها الامراض العصبية فتدفع بعض الناس الى القنوط والفشل والانتحار .

ويخيل الي ـ ولست طبيبا ـ ان تلك الامراض لا تجدي فيها الادوية كثيرا ولكن الذي يجدي اكثر النفع هو الابتعاد بقدر الاستطاعة عن كابوس السآمة والانزعاج . فلقد ثبت بالتجربة والمشاهدة ان الفرح لهؤلاء افضل علاج لارجاع شعاع الشمس الى سماء النفس المظلمة .

وفى الحقيقة ليس ما هو اوقع فى النفس من هـذه الوصايا التي تتضمن الحض على الفرح الدائم وتجعله بمنزلة الايمان وتعده فضيلة سامية وشعورا شريفا صالحا ليرى الناس كل ما حولهم مزهرا مبتسما فينمو الرجاء فى نفوسهم ويهون عليهم عندئذ تحمل عبء الحياة الثقيل . وبعـد فحري بنا بعدما تقدم ان ننزل الفكاهة فى نفوسنا منزلتها الرفيعة ونذكر دائما قول المثل السائر (الهموم سموم) فنحض اخواننا على نشر (الابتسامات) فقط دون (الدموع) فالفرح مثل التثاؤب تسري عدواه وينتقل من انسان الى انسان . فلنكن اذن فرحين فى كل حين ليكون النـاس جميعهم من حولنا فرحين .

شفيق طباره

التطور التربوي فى باكستان

بقـلم محمـد علـي راشـد

يشكل اصلاح نظام التعليم فى باكستان خطوة حاسمة فى طريق سير البلاد فى مراقي التقدم . وقد وضع هـذا الاصلاح ليلبي الحاجة الى تبديل النظام القديم بنظام يتفق ومتطلبات البلاد الجديدة . ذلك ان النظام الحالي ، وهـو من تراث الحكم الاجنبي ، قد وضع فى الاصل ليساعد على ايجاد موظفين يستعين بهم هذا الحكم فى جهاز الادارة ، وهو يهدف فى الاساس الى معاضدة مصالح هذا الحكم ، ولذلك لم يستطع هذا النظام أن يلبي الحاجات الملحـة الاساسية لدولة مستقلة حديثا كباكستان .

ان الحاجة الى وضع نظام تعليمي متين يستطيع انيكون زعماء مختارين لادارة البلاد ، ويحقق تقدمها فى الزراعـة والصناعة والتجارة ، ويعمل على تقدمها فى العلومالتكنيكية، ويدعم مساهمتها فى الثقافة والفنون الجميلة ، أجـل ان هذه الحاجة الحيوية للبـلاد قد قوبلت باهمـال مريـع فى الماضي . وبعـد قيام حكومـة الثورة الحالية فـي باكستان ، قوبلت الحاجة العظيمة الى تعديل نظام التعليم مع الاحتفاظ بمقتضيات البلاد الحالية باشد الاهتمام . وقد صرح المشير محمد ايوب خـان رئيس جمهوريـة باكستان فورا بعد توليه السلطة فى اكتوبر ١٩٥٨ فـي عبارات واضحة : «ان نظام التعليم فى باكستان غير ملائم مطلقا لتلبية رغبات البلاد الاساسية، وانه يحتاج الى تبديل جذري . » وعلى هذا الاساس عين لجنة من الخبراءلوضع توصيات بالتدابير اللازمة لجعل هذا النظام متفقا واماني البلاد القومية .

واذ تحدثنا بصورة عامة فان هذه الاصلاحات التـي ستخضع سياسة التعليم فى جميع انحاء البلاد تحت اشراف الحكومة المركزية تهدف الى تدريب طاقة الانسان وفـق الحاجات المطلوبة ، وتضمن الحصول على نتائج مماثلة لما يحصل عليه افضل نظام للتعليم فى العالم ، ويتيح للكفاءات التعليمية فرص التشجيع والبروز كل حسب مقدرتـه واهليته ، ويحدد الخطوط التي يمكن ان تحتفظ بموجبها الباكستان بطابعها كدولة اسلامية .

وهكذا فان هذه الاصلاحات تشمل تقريبا جميع مظاهر التعليم القومي فى باكستان منذ التعليم الابتدائي حتىالتعليم الجامعي فى جميع اشكاله وفروعه المختلفة .

التعليم العالي : اعترفت اللجنةفى تقريرها بالتعليم العالي كمرحلة مستقلة تكون بمثابة انتقال من الصفوف المتوسطة فى الجامعة الى مراحل التعليم الاختصاصية ، واوصـت بتبديل المحاضرات فى درجات البكالوريوس والماجستراه ، ووضعت قيودا على دراسة الفلسفة بينما وسعت مجـال الاختصاص ، واقترحت ادخال المواضيع الحديثةكالاقتصاد القومي وادارة الاعمال التجارية العامة والصحافة المتقدمة .

التعليم المهني : أعطيت افضلية عليا للهندسة والزراعة ، واقترحت اللجنة بقصد تقديم التسهيلات للدراسـات والابحاث المتقدمةفى هذين الحقلينانشاء جامعتينجديدتين: واحدة فى كل اقليم من اقليمي الباكستان ، واخذت بعين الاعتبار الدور الذي تقوم به براعة الهندسة فى استغـلال الموارد المحلية ، والزراعة والانماء الاقتصادي، ولذلك فان اهمية هذه المواضيع تجعل الاهتمام بها محتما .

التعليم الثانوي : تعتبر هذه المرحلة كاملة بحد ذاتها ، منفصلة تماما عن التعليم الجامعي ، على ان تتضمن دراسة عشرة او اثني عشر موضوعا بينهـا الرياضيات والعلوم ، واللغة القومية ، والانكليزية ، والمعارف العامة بشكل الزامي، اما بقية المواضيع فيمكن اختيارها حسب طبيعـة الميول الملائمة للكفاءة ومصالح الطلاب .

التعليم الفني : (التكنيكي) اعترف به كجزء كامل لايتجزا من نظام التعليم ، وهو يقضي بتوفير التدريب فى مجالات الاختصاص ، وتنسيق الصناعة والتجارة عن طريق انشاء المعاهد والمؤسسات الفنية ، وذلكالى جعل استخدامالاجهزة والالات ممكنا الى اقصى حد ممكن .

التعليم الابتدائي : اقترحت اللجنة جعله الزاميا خـلال السنوات الثماني الاولى ، على ان يتم ضمن برنامج مرحلته المحددة بخمس عشر سنة . وقد اصبح البرنامج الانبكامله من تبعات نظام الديمقراطية الاساسية ، وستقدم الهيئات المحلية الاعتمادات لانشاء المدارس ، بينما تتقاسم نفقـات التعليم الحكومات الاقليمية والهيئات المذكورة .

تعليم النساء : اقترحت تدابير خاصـة لتعليم النسـاء بما فى ذلك الاعتراف بالحاجات الاختصاصية للبنات فـي المتوسطة ، وبكفاءاتهن فى بعض المواضيع المتصلة بالدفـاع واهليتهن فى المواضيع التجارية على مستوى مدرسي عال . وقد مهدت السبل لدراسة الاقتصاد القومي فى الكليـات والجامعات الى جانب الفنون .

تعليم البالغين : الغرض الرئيسي من تعليم الكبار هو زيادة عدد السكان المتعلمين فى البلاد ، وهو امر يمكن ان يتحقق بزيادة عدد العمال المدربين المتعلمين الكبار ، وعن طريق استخدام النساء المتعلمات وائمة المساجد فى أوقات فراغهم لتعليم الكبار ومحو الامية .

التعليم الديني : اعترفت اللجنة كجزء لا يتجزا مننظام التعليم ، وقد قسمت برنامج تعليمه الى ثلاثة أقسام : (١) الزامي للسنوات الثماني الاولى (٢) اختياري للصفين التاسع والعاشر(٣) كجزءمنالدراسات الاسلامية فىالصفوف المتوسطة . وتتوقع اللجنة من الجامعات تخريج طلبة من

الدرجة الاولى فى الموضوع الى جانب اقتراحها بانشـــاء معهد خاص بالدراسات الاسلامية .

اللغات القومية : اوصت اللجنة بوجوب تطوير اللغتين القوميتين فى البلاد : الاوردية والبنغالية . واتخذت توصيات وتدابير لتبني اللغتين القوميتين كواسطة للتعليم على مستوى جامعي فى غضون السنوات الخمس عشرة المقبلة . وشددت اللجنة على الحاجة الى تقارب اللغتين احداهما الى الاخرى بقصد ايجاد لغة مشتركة واحدة .

ومن توصيات اللجنة كذلك تطبيق التدريب العسكري فى المدارس والكليات والجامعات .

والخلاصة ان هذه الاصلاحات تهدف الى تنسيق التعليم فى البلاد على نحو يرمي الى خلق مظهر جديد يعتمد على اظهار الطابع القومي بشكل بارز ، وتوسيع المدى الثقافى ، وتشجيع العمل الخلاق والابحاث المجدية .

ومما يذكر ان الخطوة الواسعة التي حققها مشروع اصلاح نظام التعليم فى باكستان هي انه جعل من الواجب اتاحة الفرصة التعليمية للكفاءة واهلية الطلاب بدلا مما كان يجري فى السابق حيث تتاح الفرص لمن كانوا يعتمدون على ثروة اهلهم فقط . كما ان نظام التعليم الجديد قد اولى الناحية الدينية من التعليم الاهمية الكافية حفاظا على تقاليـــد الباكستان كدولة اسلامية ذات تراث ثقافى مجيد .

مهمة جديدة : من الواضح ان خريجي النظام الجديـد فى التربية لن يكونوا من نوع المثقفين الذين يجلسون فـي ابراج عاجية ، بل ستكون الكفاءة والمقدرة هما مفتاح النجاح بدلا من الواسطة والمحاباة اللتين كانتا من اسباب فشـل النظام السابق . وهكذا اصبحت تقع على عاتق الاهليـن مهمة جديدة ، وهي انه اذا كان اولادهم سيدخلون فـي النظام التعليمي الجديد فان عليهم أن يبدلوا اوضاعهم . وان يوم شحن التلامذة بالكتب قد ولى ، واصبح على الطفل ان ينمي شخصيته اولا . وان هذه المهمة تقع على عاتـق الاهل كما تقع على عاتق المعلم .

ومن ثم فان التطور التربوي الجديد سيعطي قيمة للاوضاع الاجتماعية الجديدة التي هي اكثر حاجة للبلاد من غيرها ، وسيسير التطور التربوي فى آن واحد الى جانب مسؤولية المواطن .

تنمية الكفاءات : لقد وضع نظام التعليم الجديد خطـة جديدة يجب على شعب الباكستان أن ينفذها بنفسه . وعلى هذا الشعب ان يقرر الان بوصفه مؤلفا من آبـاء وامهات اطفال الغد بان عليه ان يقدم التعاون التام لتنفيذ هذه الخطة وذلك بتنمية الكفاءات التي هي ضرورية لطلاب الغد حتى فى المراحل التي تسبق المدرسة عن طريق تنمية ملكاتهـم الطبيعية .

تعليم وتخطيط : من المحتم فى عالم يكون فيه الانتـاج مخططا بعناية حسب الموارد ، ان تكرس الجهود لتخطيط الموارد الانسانية بعناية قصوى . وان نسبة تزايد السكان تحتاج الـى ان تكون مفهومـة من قبـل واضعي الخطط والمواطنين على السـواء ، وانه ليؤمل ان تولي الديمقراطية الاساسية فى الباكستان اهتمامها لفهم المشاكل والحاجات الاساسية للبلاد .

ولقد اعتبر الكثيرون ان تعليم الكبار مرادف لمعرفـة الكبار للقراءة والكتابة وحسب ، ولكن الامر ليس كذلك . اذ ان الواجب يقضي على كل مواطن ان يستمر فى التعليم لكي يحرز فهما افضل لما يحدث حوله من شؤون بلاده خاصة وشؤون العالم عامة .

كـراتشي — محمد علي راشد

ضاربة الرمل ...

حديثهـا بقريتي حكاية طـويلة تقـال
احن كلمـا سمعتها لرحلة بعيدة الخيـال
سمراء فى عيونهـا مزارع حزينـة الظـلال
تكـوم الغيـوب والسـماء فى سـلال
وكلمـا تطوف يحلـم النسـاء والعيـال
اطفال قريتي يرددون انها شيطانة من الجبال
نساء قريتي يقلن انها الهـة تخط فى رمال
وانها اذا تحدثت تكون فى ممالك المحـال
وفى جزائر تكشفت سواحل الحياة عندها وكل حـال
ويجهلون انهـا تفتش البحار والسهـول والتـلال
فزوجها وكان راعيا تقول كان سيد الرجال
يصيد لو اراد عشرة من الذئاب رغم انه فى رقـة الغزال
ويطعم الغريب ... طيب كانما يداه بيدران للغـلال
دعته والعـدو فى التخـوم صبيحة النضال
ومنذ راح لم يعد وفى العيون يصرخ السؤال
ومنذ راح وهي تجمع الغيوب والسماء فى سـلال
لعلهـا تراه مقبـلا تزفه اشـعة الزوال
وان تكن تراه كلما اطل فوقهـا هـلال

القاهرة — محمد ابراهيم ابو سنه

لاحت له غابة الصنوبر كجدار طويل يحيط بالخضرة اللانهائية الذاهبة طولا وعرضا الى الافق .

كان الاتوبيس ينساب كالحية الرقطاء فى الطريق المتعرج وينتفض بين الحين والحين انتفاضات مرتعشة كانتفاضات المحتضر مرسلا فى الفضاء دخانا اسود كدخان القطارات . من خلال النافذة كانت نسمات الجبل الباردة تتسلل الى وجه « امين » تصفع عينيه تجعله يبكي تتسلل حتى عظامه تملأه بالقشعريرة . رفع يده الى عينيه يجفف بها ما علق من رطوبة الهواء ، خيل له ان مشهد الصنوبر الاخضر يركض مجنونا ليقابل عينيه ضبابيا ، غامضا

هتف كالطفل وقد تألقت عيناه :

ـ غابة « بولونيا » أليس كذلك ؟

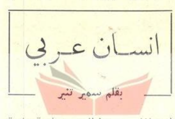
لكن جليسه لم يرد ! لقد رفع يده الى انفه فمخط ثم هز راسه . لم شعر فى اعماقه بالاهانة ؟ لم احس ا نالخوف يطبق عليه كأخطبوط ؟ ان الثرثرة لازمةاحيانا لركاب الاوتوبيسات فلم يصر ذلك اللعين على الصمت ؟ .

عادت عينا امين تتفحصان الركاب فى الاوتوبيس . ان فتاة حلوة تجلس فى المقعد الامامي نحيلة .. يرتفع عنقها كجذع شجرة وتتألق فى اذنيها اقراط صغيرة وفى المقعد المواجه له امرأة سمينة تداعب طفلها الجالس على ركبتها .. طفل صغير يلبس فى قدميه حذاء احمر . لقد وضع الطفل يده على رقبة والدته وهمس فى اذنها بكلمات لكنها انتزعت يديه وهي تقول : « ما معي ... ما معي » . ورفع صوته : لا ... لا ... معك » لمعت بعد قليل قطعة فضية فى يد الصغير فضحك ضحكة حيية وقبل والدته وهو يتمتم بلغته الحبيبة اشياء لم يفهمها امين .

صافحت عيناه عيني جليسه . لا يبدو عليه اي انفعال كأن احساسه تبلد او تجمد . ان عينيه تدوران كعيون الخنازير ووجهه النحاسي يتجهم ويتحول الى وجه مخيف شاحب ينتهي بفك مربع بارز .

انبسطت امام عيني امين مرة ثانية امواج الخضرة الموشاة برقع بيضاء كاللؤلؤ ومن ثم اقترب الاوتوبيس من الغابة فبدت اقل كثافة عن ذي قبل وبانت لامين جذوعها الحمراء تتمايل ذات اليمين وذات اليسار كأنها توشك ان تتساقط الى الارض او ان يحتضن كل منها الاخر . كانت الغابة مهجورة الا من بعض الطيور التي تفر من هنا وهناك فى حين قامت فى الظلال وعلى المرتفعات « فيلات » انيقة .

برق الافق بشفق ازرق غامض امام عيني امين والهواء اصبح اكثر



ارتجافا ... بدا البحر صفحةرمادية متماسكة .

ود امين من كل قلبه ان يعلن لجليسه اشرافهم على البحر لكن صمت رفيقه بدا الان أكثر تصميما . لقد اثار البحر فيه مشاعر عدة اخذت تومض كأنها ماسة نادرة فآثر ان يبقى صامتا .

« يا للفكرة الخبيثة الرديئة » همس بهذا وهو يرنو ببصره الىالوراء الى الاسفلت الراكض الذي يخلفه الاوتوبيس فى سيره .

« بكره العيد ستلقى عائلتك لقد شفيت تقريبا مرضى كثيرونينتظرون انتبه لنفسك . اننا لا نريدك مرة اخرى » .

هكذا اكد له طبيب المصحة .. لقد شفي تقريبا من السل . وما عليه الان الا ان يغذي نفسه ولا يجهدها بالعمل . الغذاء هذا اهم شيء والا عاد اليه المرض . هذا ما يؤكده الجميع . « لكن كيف ... كيف ... اعمل .. انني لا اقوى على العمل ؟ » فكر بهذا وهو يرفع يده الى راسه ... يشد جبهته .

قال لنفسه : « انهم يرسلونني لا لانني شفيت بل لان وكالة الاغاثة لا تستطيع ان تواصل الصرف علي بعد اليوم . سيأخذ سريري اخر قادم من بلاد بعيدة يستطيع ان يشتري حياته بالثمن » . اما انباته المرضة اللعينة السمراء ذات الفم المقوس بهذا من يومين ؟ اتته بعشائه وهي تضحك ضحكة هستيرية . واستطاع ان يفك عقدة لسانها فقالت ان الدكتور سيمر عليه غدا وسيقرر ارساله الى منزله . وانصفق الباب وراءها فى عنف . ولم يدر بعد ما جرى له . قطعة ثلج قاسية تجمدت فى صدره . لم يمد يده الى الطعام . انحدر بين اغطيته واتجه براسه نحو النافذة . اختلط الامر عليه . همس بينه وبين نفسه : « يرسلونني الى البيت ... لا مستحيل » . اغلق عينيه واحس بحرارة تلف راسه استطاع ان يرى كل شيء فى وضوح . رحيله . وصوله الىمعسكر اللاجئين . دموع امه العجوز وزوجته واهله . وبكلمة واحدة كل الانفعالات التي ستسببها عودته فى قلوب كل من احبه . هز راسه وهو يدور فى سريره يردد : لا ... لا ... كل شيء الا هذا .. سأموت» .لن تكون حياته وسط اهله مرة ثانية الا سلسلة اخرى من العذاب الذي سيؤدي به حتما الى الموت . «كل شيء الا هذا. .» بدا يردد بينه وبين نفسه مرة ثانية .

احس بعدئذ بتعب وبرغبة فى ان ينسى كل شيء وينام . اطفا النور . ونام . وفى الحال انتابته احلاممختلطة

رأى نفسه وسط غرفة خالية كبيرة جدرانها قذرة رمادية سوداء . وفى منتصفها يجلس شاب يلبس الملابس العسكرية وامامه امراةيعرفها



جيدا .. زوجته. لقد تكلم كثيرا .. انه بريء ... لم يقذف القنابل اليدوية ... ولم يشترك بالثورة .. انه بريء .. كان الضابط يبتسم بخبث ... وهو يضرب بقلمه على الطاولة ... «حسنا سنطلق سراحك هذه المرة فقط » . خرج من الغرفة ومشى في البهو واجتاز اروقة ودهاليز كثيرة ... ثم واجهته الشمس بنورها الساطع وبدفئها اللذيذ فشد من قامته وامسك بيد زوجته ومشيا ... ظلا يمشيان واجتازا شوارع كثيرة ... واخيرا وقفا امام اتوبيس كبير للركاب ... فصعد ..وامسك بالمقود فتحركت السيارة تطلع في مرآة السيارة الموضوعة امامه ... فرأى عشرات الوجوه الحمر والعيون الزرق تتطلع اليه بنهم ... ان ضوء الشمس « يزغلل » بصره .والمحلات على جانبي الطريق مغلقة ..والشوارع خالية رفع يده الى راسه كانت الشمس في الافق تبدو على وشك المغيب قرصا احمر يلتهب ... راى سيارة رفيقه سعيد على البعيد.. انها تنقل هي الاخرى جنودالاستعمار الى مواقع الثوار . انحرفت سيارة رفيقه فجأة ورآها وهي تهوي الى الوادي السحيق فيقتل سائقهاوجنود الاستعمار الذين تحملهم ... لقد اوقف سيارته وغافل الجنود الذين ارعبتهم المفاجأة واطلق ساقيه للريح باتجاه المدينة ركض حتى لم يعد يستطيع التنفس ... ولما بلغ المدينة الفاها جحيما لقد قام الصهاينة بهجومهم الغادر على الحي العربي . كان الرصاص يئز في البعيد بطرقعات خافتة . ووصل الى بيته ورأى النار تلتهمه ... فصعد كالمجنون الى الطابق العلوي ... وصرخ ... صرخ ... فما رد عليه احد ... علا صوت الضجة في سمعه حتى اصبحت صراخا وولولة ... جعل يصيح « يا رب ... يا رب ... يا دخيل الله ... يا دخيل الله وقفوا ... وقفوا يا كلاب ... وقفوا ...» .

لكن الصراخ والولولة ازدادا عنفا ... وفي هذه اللحظة انقطع الحلم وافاق امين .

امتلأت عيناه الكبيرتان بالظلمة عندما فتحهما . لكن الضجة والولولة التي سمعها في الحلم كانتا لا تزال . في غمرة نعاسه لم يستطع ان يتبين مصدر تلك الضجة . لكنه سمع خطوات كثيرة مسرعة وهي تنتقل بخفة على بلاط الدرج كأن الناس يهربون .. ويغادرون المستشفى . ومضى ذهنه في الحال ... « النار .. المستشفى يحترق .. ان الممرضات والمرضين يهربون . »

تحسست يداه بسرعة زر الضوء. ان الناس يهربون . كانت اصداء الخطوات على الدرج تزداد عنفا . يجب ان يسرع قبل ان يفوت الاوان. والقى بالغطاء بعيدا عنه . لم ينتبه الى صينية العشاء الموضوعة امامه. فما ان نهض حتى تعثر بها ... فانقلبت الصحون وتكسرت . ساد الصمت لقد انقطعت الضجة والوسوسة التي امتلأت بها اذناه منذ قليل .. هتف وقد اخذه سخط بالغ .. « الله يلعنكم » وما شعر الاوعشرات الشتائم تخرج من فمه . لكنه لحظ بعد حين قصير ان الضجة التي اوشكت ان تؤدي به الى الجنون قد توقفت توقفا تاما . لم يكن هناك من صراخ او ازيز او ولولة او اية ظاهرة من الظواهر التي ملأت نفسه بالرعب . تطلع من النافذة وهناك ظهرت له الحقيقة الساطعة . ان بعض الفلاحين على البعد يشعلون قشا والمرضين والممرضات الذين سمع خطواتهم على بلاط الدرج لم يكونوا يهربون بل يتمتعون بمشهد النار ويمرحون مع الفلاحين !

هدأ قلبه . سادت اعماقه السكينة. شعر بان حملا بالغ الثقل قد ازيح عن كتفيه وما ان رأى الصحون والاواني المكسرة على الارض حتى شعر بخجل بالغ . لقد اخطأ . ان اوهامه كادي تودي به . لقد نسي في غمرة خوفه كل شيء ان تلك اللحظات القاسية ابعدته عن الحياة . « انني أستحق الموت » لقد فكر بذلك منذ زمن طويل واقتنع به . انه الحل الوحيد الذي يستطيع ان يمارسه بكل حرية دون ان يعترضه احد .. ان يقتل نفسه ... فكر في ان يذهب الى المدير ويطلعه على الامر . ولكن هل يستمع المدير اليه ؟ كان هذا غير معقول البتة . انه اسوا الرجال وادناهم مرتبة فهل يستمع المدير اليه ؟ حسنا ... ان فكرة طرده من المستشفى لم تعد تخيفه بل انها تبعث في نفسه أمل الخلاص « اني استحق الموت » بل ان موته تأخر كثيرا لماذا لم يمت كما مات الالاف غيره في فلسطين ؟ لقد هرب كالفأر الجبان من المعارك وفر كما فر المئات والالاف غيره يحمل العار معه الى الابد !

لقد ادخلت هذه التصورات الى نفسه الامل والسكينة . انه الان يعاقب عقابا عادلا . ان العذاب الاتي سيحرره من اليأس الذي اطبق على روحه منذ انبأته الممرضة اللعينة بذلك الخبر . ان فكرة العقاب تلاقي صدى خاصا . انها خشبة الخلاص التي ستنقذه .

في الصباح ايقظته شعاعات الشمس التي كانت تتسلل اليه عبر النافذة . دافئة .. فضية .. فتح عينيه . رفع رأسه الى السماء ... كانت صافية .. زرقاء بلورية ... « يا للصباح الجميل » هتف بهذا وكانه نسي كل ما جرى له البارحة وتساءل لماذا لم يوقظه احد كالعادة ... ولم لم تأت الخادمة لمسح الغرفة لكنه تبين بعد قليل صوتا خشنا يسأل اسئلة ويعطي اوامر . هتف : « انه المدير ... سيكون هنا بعد قليل .. انني لم اغسل وجهي بعد » . القى نظرة عجلى على الغرفة : ان بعض الكراسي ملقاة على الارض وبقايا الطعام والاواني الزجاجية تلوث بلاط الغرفة هتف : « آه .. لقد نسيت »

انحنى الى الارض وجعل يمسح الاكل ويدفع بقايا الزجاج تحت السرير . فتح الباب ودخل المدير وتبعه ممرض يرتدي الملابس البيضاء. وكان المدير رجلا طويلا قوي البنية له وجه قاس بارد وانف مفرطح . الغريب ان الشعر الاسود الكثيف يغطي ساعديه وصدره عندما فتح الباب كان امين لا يزال يدفع بيديه الزجاج والغطاء منحسر عنه وشعر راسه يكاد يلامس الارض . رفع راسه بسرعة واعتدل فى جلسته ... وركز عينيه على المدير الذي سينطق الان بكلمات قليلة كحكم الاعدام يلقيه ضابط غليظ القلب . أقترب المدير من سريره فتطلع اليه امين بنهم .. لقد اكتشف الطعام والاواني المبعثرة .. لكن المدير لم يبد عليه شيء ..

ــ لقد شفيت تقريبا يا امين . ما عليك الا ان ترتاح بضعة أسابيع فى بيتك . بكره العيد ... ستلتقي عائلتك ...

مرضى كثيرون ينتظرون . انتبه لنفسك ... اننا لا نريدك هنا مرة اخرى .

تكلم المدير كلاما كثيرا . اذن فقد قضي الامر . سيخرجونه من المصحة. لقد واجه ذلك البارحة احساس المشاعر السوداء التي عصفت بروحه امس تعاود كرتها كسكين مرهفة تدخل قلبه .

كان جالسا فى غرفة الانتظار غارقا فى تأملاته وافكاره يتساءل ولا يجد جوابا . نهشته كلمات « الفداء » لا بد من الفداء الكامل . ترى هل يتوفر له الفداء بعد اليوم ؟ . لا بد ان يرجع الى عمله كسائق شاحنة . عمله الذي اوصله الى السل . ليس من وسيلة اخرى . اوشك على البكاء عندما دخلت الاخت روز الى غرفة الانتظار واتجهت اليه انها تمشي دون ان تحدث ضجة ما على الرغم من تنورتها الواسعة الفضفاضة وغطاء الراس الكبير . ان خطواتها خفيفة خفيفة ، كمركب يبحر فوق سطح ماء املس . نبض قلبه بالفرح وقد لمحها متجهة اليه . انه الفرح الغامر الوحيد الذي يخرج به ويوسده قلبه وهو يودع تلك الفترة القاتمة من حياته .

ــ « بكره العيد .. ستراهم وهم يفرحون بك وستفرح بهم انت ايضا ... السعادة لا تتم فى البيت الابوجود الام والاب . لا تنس ان تأخذ معك حاوي وانت عائد الى البيت . اعتن بهم . انهم اولادك . انهم احباؤك » .

كم اصغى اليها .. دائما تفتح له ابواب الامل ولا يراها هو الا مسدودة امام كل الوجوه . انه يحب المرضة روز يحب وجهها الطيب الذي يبتسم دوما . لكنه يكره الهراء والوعظ الذي تلقيه عليه دوما . انه يصغي لها وهو يخفي ضيقه . منذ صغره وهو لا يحب النصائح ولا يستمع اليها انه يعتمد على احساسه . أحساسه دوما يقوده الى الطريق . لا يعرف لم يكره كل من يحاول ان يقف فى طريقه ليوجهه الوجهة التي يريد .

ــ اني اقدر محبتك ايتها الاخت .. لكني لا استطيع ان اقابل اهلي اليوم . وسأفسد عليهم العيد . لعلك تستطيعين ان تكلمي الادارة لتبقيني حتى غد .

ــ لا تكن ابله . اهلك فى الانتظار . ستنسى كل شيء .. انا متأكدة ..

تركته الاخت روز وحيدا وشعر بالاسى مرة اخرى . ان هذا المكان يمتلىء بالناس الطيبين . الاخت روز رفيقة فى الغرفة عباس ، ميشال الخادم ، عائشة ، الطفلة الصغيرة . انه يتأكد من شيء الان . ان الالم يحيل الناس الى ملائكة ..

نظر امين فى قرص ساعته . انها الخامسة . عما قليل يهبط المساء . تذكر بسرعة معسكر اللاجئين الذي سيصل اليه بعد قليل و « الخرابة » التي يسكنها غرفة .. متآكلة سقفها بعض قطع من التنك وامام الباب اخاديد كثيرة مليئة بالوحل وتراب كثير وبضع حجيرات بيضاء مرصوصة كان التراب فى كل مكان . والطين يلوث أولاده جميعا ويصبغ اطرافهم العارية . ان الطين يلوث الجميع فى معسكر اللاجئين . انهم يتنفسون معه ويأكلون وعليه يعيشون وينامون .

كان الاوتوبيس يسير هادئا الان كفرقة تتحرك وكان تيار لذيذ ناعم من هواء الربيع يعبث بشعره . احس براحة مفاجئة لقد القى بنفسه كلها الى ذلك التيار الناعم الحنون .. واخذ يحلم : فى الصباح خرج الى حديقة المصحة وخيل اليه انه يدخل فردوسا حقيقيا بساط أخضر ناعم يمتد عبر الممرات الطويلة والازهار الحمراء البنفسجية تختبىء عناقيدها الطويلة فوق جدران السور وتنتشر هنا وهنا فى الحديقة . ان ازهار أشجار البرتقال تلتمع كالنجوم . لقد تنفس بعمق وملأ صدره بهواء الربيع . كان يريد ان يحيا حيوات الازهار جميعا . وان لا يفارقه عطرها . صرخت عجلات الاوتوبيس فوق الارض وتوقف . فقد وصلوا المدينة . وخرج الركاب فى هرج ومرج ، فى حين وقفت بعض الاوتوبيسات تلهث وتطلق صرخات وحشية . الضوء فى الخارج برتقالي باهت ينساب على السيارات ووجوه الناس . وواجهات المحلات وغابات الثمار الشهية تبدو فى واجهات المحل المفتوحة . ان اعلان البيبسي كولا الكهربائي يضيء ثم ينطفىء . والابنية العالية لا تزال بقية من نور الشمس الغاربة تحتضنها فى حين غابت الشمس وراء تلك البنايات ولن يبقى منها الا ارتعاشة ضوء أصفر فى السماء .

غادر امين الاوتوبيس بخطى وئيدة لقد خفقت فوق راسه اضواء النيون والاضواء المنداحة مع المساء . وكانت السيارات الكثيرة تزدحم فى خط متعرج طويل وتطلق بين الحين والحين صرخات كالعواء بينما حشود الناس تتدافع على الارصفة . لقد اسرع فى سيره كان يود الهروب من الشارع الطويل الذي يجري حديدا حاميا وضوضاء . انحرف عند محل السكاكر

واشترى علبة حلوى . وكان يعتصر في يده منديلا صغيرا . لقد اجهده المسير في الشارع الطويل . فاخذ يدفع الناس بقبضة يده ويخطو الى الساحة الهادئة المدورة . ورفع راسه الى السماء .. انلون الشفق الوردي استحال الان الى لون الرماد الغامق. لقد نشق مرارا اريج الازهار الذي كان يهب عليه من الحديقة الكبيرة . والنسيم اللذيذ الحنون يأخذه مرة اخرى الى ما يشبه الحلم . آه .... كم يود لو يحيا حيوات الازهار جميعها وكم يحب الارض وشذاها المنعش .

مضى ينساب في الشارع الطويل لقد فاجأه السكون المنبعث من الاشجار المتكاثفة في الظلمة عند المنعطف. سار دون ان يفكر . كان خالي الذهن من اي شيء ، وتطلع حواليه : في الشارع عدد قليل من المارة والسكون يملأ كل شيء ، حتى نفسه سادتها السكينة اشباح مسرعة مرت ثم تلاشت في الظلمة واخذت نسمة رقيقة تحرك الاغصان المطلة فوق سور الحديقة لقد رقد فيه كل شيء وسكن . والظلام يتداخل ويطرد بقايا اضواء المساء فارتفع ببصره من الغيوم الخفية العالية الى سماء لا ترى . كان الشارع الطويل المشجر قد انتهى وانفسح امام بصره فضاء عريض فوقف برهة. ولفتت نظره من بعيد اضواء قناديل متباعدة فعرف انه وصل الى معسكر اللاجئين . عما قليل سيجتاز الطريق الموحل ويبلغ الدرج الحجري المنهار: تراب وبضع حجيرات متآكلة ووحل لزج كثيف في كل مكان .

كانت هناك اصداء لاقدام خافتة تقطع الطريق الموحل وظل طويل يرفع يده ويرد تحيات اللاجئين . وقناديل الطريق المتباعدة تضيء دموعه التي بللت وجنتيه . لقد لفح الهواء وجهه والليل الاسود الكثيف يجثم على الكون ويمتص النور من كل مكان والاشجار الكبيرة تعبث بها الرياح . ازهار قليلة كانت تتناثر على جوانب الطريق الموحل وتتلالا كالنجوم في الغابات المظلمة .

دفع أمين الباب الخشبي فانزاح بهدوء . وامتلأت عيناه بفيض من نور المصباح المضاء فرفع يده الى عينيه يجفف بها دموعه ، لم يستطع ان يتخلص من بين يدي زوجته الا بصعوبة واندفع الاطفال اليه في عاصفة من الفرح عاتية يقبلونه وهم يهزجون ويصيحون .

لفت نظره علبة ملونة من الحلوى موضوعة بعناية على الطاولة الخشبية وهي مربوطة بشريط احمر . تطلع الى زوجته وامه العجوز الهرمة انها تبدو أكبر كثيرا من يوم فارقها كانت شاحبة وضفائرها البيضاء مبعثرة وشال صوفي يرتمي على كتفيها ، اما عيناها فقد كانتا تبتسمان تبتسمان دوما ..

سأل امين «من أين .. من اعطاكم هذه العلبة ؟ »

قالت زوجته : « انها هدية من بيت أبو سليم .. انني اعمل عندهم .. اغسل الثياب .. »

لقد عاد الحمل الثقيل الى كتفيه عاد الى العائلة الكثيرة العدد عاد ليسد الافواه الجائعة بلقمة الخبز . عاد لينقذهم من ذل الاحسان . عاد لينقذهم من الجوع .

«امين .. الست سعيدا .. لقد عدت .. وها أنتذا بيننا من جديد » قالت زوجته وهي تشير الى الاولاد وعلبة الحلوى .. والى البيت من حولها .. وتفتح ذراعيها وتكاد ترقص .

وهناك في اقصى الغرفة وقف رجل نحيلٌ شاحب الوجه مشعث الشعر ساهم النظرات عيناه غائرتان في محجريهما ، وجبينه ينضح بالعرق البارد ، يتطلع الى اعين اطفاله الواسعة وهم يتخاطفون الحلوى من العلبة الملونة ، وهو يشعر بالحياة تعود اليه من جديد . ان نظراتهم الحزينة لم يستطع يوما ان يصمد لها . وايقن في تلك اللحظات ان كل ما في الحياة من قسوة سينهار حتما امام تلك الاعين الرقيقة الحنون .

سمير تنير

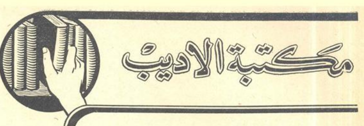
حكاية

*

على الدروب التقينا
نمشي الهوينى الهوينى
الفجر وافى الينا
فمن ضياه انتشينا
لقد اتى وأتينا
فجران بين يدينا
فهل ترانا التقينا
تثور في مهجتينا
هل الصباح علينا
نمشي الهوينى الهوينى

وعانقتنا الاماني
على رفيف الاغاني
وضمنا في امان
ومن شذا الاقحوان
مع الطيوف الرواني
جداول من حنان
كما التقى عاشقان ؟
لواعج العنفوان ..
ونحن عبر الزمان ،
على رفيف الاغاني

القدس — **راضي صدوق**



رسـائـل مـن الهـنـد

تاليف ناجي جواد المحامي ـ ١٢٠ صفحة ـ مطبعة الرابطة ببغداد

كتب الرحلات هي في طليعة الكتب التي تغذي الفكر والعاطفة بامتع الوان المشاهد المثيرة ، والحوادث الطريفة ، فهي تستأثر بانتباه القارىء فيقبل على مطالعتها بشغف متزايد ، لما توحي به اليه من افكار ، وما تثير فيه من عواطف ، وما تتوافد عليه من خواطر .

وجدير بالاشارة ان الرحلات تؤمن للاديب مجالات الخلق والابداع ، فيغدو اعمق تفكيرا ، واغنى تجربة في نقل ما يحسه من التجارب على اساس من التعبير عن افكار اجتماعية جديدة ملزمة اياه بالدقة والامانة في اداء رسالته الادبية ، مصورا عظمة الكون ، وروعة الطبيعة بلغة صافية واسلوب رائق !

وتكون فائدة الكتاب اعم واشمل اذا تناول فيه مؤلفه دراسة اوضاع شعب مجاور لنا ، وتربطنا به صلات عميقة ، موغلة في القدم ، وناهيك عن علاقتنا بالشعب الهندي المناضل الذي افعم صدر الشعوب المتحررة فخرا بنضالاته الوطنية ، والذي ما زال يسخو بالتضحيات الغالية من اجل الرفاه الاجتماعي ، وما زال يشق الطريق نحو مستقبل افضل !

والاستاذ ناجي جواد من ادبائنا النشطين ، وهو يهوى الرحلات وفي عام ١٩٥٥ سافر الى الهند ومنها بعث رسائله الشيقة الى ابنته هيفاء ، تلك الرسائل التي تحمل في سطورها لوحات فنية تتصارع في خاطره ، وذكريات تتماوج في قرارة نفسه ، اذ وجد في الهند افاقا رحبة تنطلق فيها ذكرياته ، وشاطئا اخضر تسبح فيه اشواقه ، وقد جمع تلك الرسائل في كتاب دون فيه مشاهداته وانطباعاته عن الهند وما رآه فيها من نماذج لحياة وانماط الناس ومشاغل حياتهم ، انها صور رائعة ، تحلق بالنفس الى عوالم بعيدة فيها الحب والخيال ، وقد صور جمال الحياة في الهند فزادنا شوقا لها ، ولا يملك القارىء الا ان ينفعل ويتجاوب معه ، فقد فجرت الغربة في قلبه ينابيع ثرة من الشوق ، واسفرت عن تجارب عميقة انضافت الى خبرته .

والسيد ناجي اديب انبثق من صلب الشعب ، وقضى طفولته في حرمان قاتل ، فقال عن الحرمان « انها كلمة بشعة سوداء كظلمات الليل المدلهم لا يدركها المنعمون » .

ولم يلبث ان تعلم صناعة تصليح الساعات ، وفي اثناء اوقات فراغه انصرف الى تحصيل العلم ولما اكمل الثانوية توفر على دراسة القانون ونال ليسانس الحقوق عام ١٩٥٣ ونما وترعرع في قلبه حب الاسفار والمطالعة وممارسة كتابة القصة القصيرة التي يربطها بخيوط اجتماعية ويحيطها باطار نفسي مع الهزة العاطفة الفنية بالايحاءات النفسية المعطاة ، والزاخرة بالقيم والمثل العليا والاهداف الانسانية الكريمة ، وكنت اتابع نشاطاته الفكرية منذ ان تفتحت مواهبه الادبية ذات المحتوى الرائع .

ولا اكتم القارىء الكريم انني حينما طالعت كتاب « رسائل من الهند » خيل الي انني اتجول مع الكاتب في ربوع الهند ، فارى فيها عن كثب الحياة المتطورة الخلاقة ، واتحسس نبضات قلب المؤلف وهو كوالد يعاني مرارة الاغتراب فتفيض نفسه بالاشواق الملتهبة ، ويتاجج وجدانه باللوعة المتدفقة ، واستشعر حب الوطن في حنين قلبه الملتاع الذي امده بروافد الاحلام .

وقيمة الكتاب تنبع مما فيه من الصدق والحرارة ، وفي اسلوبه المشرق بسمات النضج الذي يكشفه الكاتب بزخم حنون .

والحق يقتضينا ان نقول ان الكتاب جلا لنا صورا جديدة عن الهند ، وتضمن معلومات طريفة لا يستغني عنها كل طالب للثقافة والمعرفة !

وركب ناجي جواد الباخرة من البصرة ، الثغر العراقي الباسم وراحت تشق عباب الامواج فكتب لابنته هيفاء واصفا البحر فيقول : « ولكنك تعلمين يا عزيزتي بان لهذا البحر حالاته العجيبة وغضباته الرهيبة ، يوم يضيق صدره بتقلبات الانواء كما تضيق صدورنا بتقلبات ظروفنا سواء بسواء . ولكنني من ناحية اخرى اغبطه فهو اسعد حالا منا لانه يستطيع ان ينفس عن نفسه بثورة شاملة يقذف بها كل ما ضاق به صدره غير حافل بشيء ولا هياب من احد » .

وعندما رست به الباخرة في مسقط . قال : « بنيتي هيفاء ها انا اطل على مدينة مسقط العربية ذات الموقع البديع ، فهي هالة من الجبال تحيط بالبحر ذي الزرقة الصافية كصفاء الامال الجميلة ، تعلوها قلعة فخمة شامخة شموخ النفوس الابية ، وحولها قصور متناثرة ذات طابع تاريخي يحاكي قصور (كوفاديس) » .

ولما وطأت قدماه ارض بومبي في الهند قال فيها « تجولت اليوم بصحبة صديقي محمد كاديلي في مدينة بومبي التي راقتني شوارعها الرحبة ، واسحرني ساحلها الجميل المنحني انحناءة بديعة تحيط بصدر هذا البحر الزاهي بزرقته الرائعة ، ومما راعني في هذه المدينة الخالدة ذلك التناقض الغريب الذي لاحظته في طراز عماراتها التي هي عبارة عن اثر تمتد جذوره الى العهد (الفيكتوري) الذي امتزج امتزاجا عجيبا بالفن الاسلامي الهندي » .

واي مثقف واع لا يدرك عظم اهمية الدور الذي لعبه المهاتما غاندي على مسرح تحرير شعبه من نير البغي والاستبداد ، والذي لا تذكر الهند الا ويبرز اسمه كعلم من اعلام النضال التحرري في العالم ، والذي انقذ شعبه من العفوية الى الوعي ، ومن التسيب الى التنظيم ، والهمه القدرة الخارقة على تذليل الصعاب ، وتحطيم العقبات ، وازالة السدود .

ويروي لنا المؤلف جانبا رائعا من حياة هذا المناضل الوطني الخالد على لسان صديقه محمد كاديلي حيث يقول « كان زعيمنا غاندي في جنوب افريقيا وكان قد حجز له مكانا في الدرجة الاولى وبقي وحده في المقصورة حتى دخلها رجل ابيض فلما رأى هذا الانسان ذا البشرة السوداء تراجع وعاد بعد دقائق ومعه شرطيان امرهما ان يخرجاه وحقائبه من الدرجة الاولى قسرا . وكان في مقدور غاندي ان يحتل مكانا في الدرجة الثالثة كما هو مسموح لبني جنسه ولكنه اثر البقاء بالمحطة وكانت ليلة شاتية (القر فيها يعقد رأس الكلب بالذنب) لذا بقي الليل كله يرتعد من البرد . وكان في هذه اللحظات الحاسمة من حياته يتصارع وجدانه الانساني المتيقظ مع نفسه التي راودته بان يعود الى الهند ، ولكن المسألة تبدت امام وجدانه في صورة مأساة انسانية تحفزه الى النضال في سبيل اسعادها » .

واستطرد يقول في اعتزاز وفخر :

« كان في احد جوانب هذه المدينة (يعني بومبي) التي راقتك شوارعها الرحبة وحدائقها الفواحة ساحة كبيرة ترمى بها فضلات ما تلفظه البيوت فتنبعث منها رائحة كريهة ، وتتطاير على جنباتها اسراب واصناف من الحشرات القذرة فكان منظرها يقذي العيون ويحز في النفوس ، والناس في جهلهم يعمهون وللنصيحة لا يفقهون . هنا تنطلق ذهنية غاندي اللامعة ويحفزه وجدانه اليقظ فاذا به في صبيحة احد الايام والناس منطلقون الى اعمالهم لا يعنيهم من امورهم غير تحقيق ما تصبو اليه نفوسهم واذا

بانظارهم تقع على زعيمهم يحمل (زنبيلا) مملوءا بالفضلات النتنة يحاول جاهدا أن يضمه على كاهله النحيف ويسير به بخطى وئيدة قاذفا بمحتوياته خارج المدينة ، وشق عليهم ان يشاهدوا زعيمهم الشيخ يقوم بما يجب ان يقوموا به فراحوا يتهالكون لرفع هذه الفضلات ، وكأني بتلك الصفوف الزاحفة الطويلة لها اول وليس لها اخر اشبه ما تكون بخطوط النحل خفة ونشاطا كل يجاهد نفسه فيما يحمل والكل يقتفون اثر زعيمهم وقدوتهم الى خارج المدينة . وما هي الا ايام حتى وجدت هذه البقعة شيئا اخر يملأ رواؤها العين نورا ، والنفس بشرا ، لكثرة ما غرس فيها من جميل الشجر ، وفاح في ارجائها منعبير الزهر » .

واما رابيندارنات طاغور فهو الشاعر الروائي الملهم الذي تنعكس على مرآة وجدانه الحيرة والقلق اللذان كانا يسودان المجتمع ، ورواياته تحف عالمية رائعة ذات دلالة عميقة على الروح الانساني التقدمي ، وقد طبقت شهرته الافاق ، وهو الاديب الشرقي الوحيد الذي حاز على جائزة نوبل . وكان كمثقف واع يؤمن بحق امته في الحرية والعدالة والسعادة . وكان الشعب الهندي موثق اليدين يرسف في اغلال العبودية ، سليب الحقوق ، سليب الارادة ، يسير القهقرى في متاهات الفوضى والاضطرابات والفتن بلا هدف معلوم ، ونهج مرسوم ، ينتظر ساعات الخلاص بالرغم من اطباق سحب الظلام التي امعنت في حجب نور الحرية عنه ، وكانت مراجل صدره تضطرم بالغضب الاسود ، وهو يتحسس واقعه المؤلم المر ، وكانت بسمة الامل المرتسمة على شفاهه اقوى من الموت ، تحفزه على مواصلة الكفاح وهو يتطلع الى مطالع النور . وكان الشاعر طاغور يساند حركات التحرر الوطني ويستمد من جماهير شعبه قوة الايمان بالحياة ، ذلك الشعب البطل الذي احرز اروع الانتصارات بعد ان قدم المزيد من الضحايا في الثورات والانتفاضات ، فانطلقت المواهب المكبوتة ، وتفجرت القابليات الحبيسة .

وقال المؤلف عن طاغور « لم يكن ذا اتجاه فردي فتفكيره عام شامل وحياته متعددة الوجوه والنشاط ، وليس هناك من شيء يسمو بالانسان ويحرره من جميع العوائق الضيقة الا عندما يبلغ احساسه مراتب الانسانية الشاملة ، لذا كان يحمل كغاندي فكرة ازالة المنبوذين من المجتمع الهندي فناضل ضدها اذ كان يؤلمه ان يرى قومه يعيشون في ظلمة الطبقات ، فهؤلاء المنبوذون الذين حرمتهم التقاليد من ان يمارسوا حقوقهم الطبيعية المشروعة وتهبها للبقرة المقدسة » .

ووصف المؤلف الهند بعد ان طوف في ربوعها فقال « ان الهند بلد العجائب والمتناقضات فالاديان فيها مختلفة ومنها الهندوسية التي تعبد الروح وتقدسها مهما حقرت وتضاءلت ولذا سمحت لنفسها ان تعبد البقرة لانها الام الحنون ، بل انهم غالوا اكثر من هذا حتى ذهبوا الى اعتبارها ام الله ، واستنتجوا هذه العقيدة من ان البقرة تدر لبنها عليهم واللبن يهب الحياة ، ومن هنا نالت البقرة المنزلة السامية حتى سوغوا لها ان تتجول في الطرقات بحرية وتعبث باموال الناس بنزق يتقبلونه بصدور يعمرها الايمان ونفوس تغمرها الغبطة » .

ويعرض لنا المؤلف فصولا شائقة عن العادات في الهند فيقول « اذ كانت العادة تحتم على الزوجة الوفية اذا مات زوجها المخلص وتمت المراسيم لارسال جثته الى المحرقة ان ترمي بنفسها على جثة زوجها الملتهبة وسط الشعلة المتصاعدة ليصبحا بعد لحظات نسيا منسيا ، ولكن انتشار نور المعرفة بين طبقات المجتمع الهندي المتطور قد لطف هذه العادة المؤلمة فاصبحت الزوجة اذا فجعت بزوجها فعليها ان تحلق جميع شعر راسها وتقبع في البيت مكرهة طيلة عمرها تترقب الموت او الموت يترقبها » .

ومن العادات الغريبة الزواج في قبيلة (الناير) القريبة من التبت الذي يتم على مبدأ تعدد الازواج فالخطيب يضع قلادة في عنق الفتاة التي يرغب الزواج منها ، ويستمر زواجها به ما دامت راضية بهذه القلادة ومحافظة عليها ، فاذا ما مضت ايام سرح الزوج مع جائزة وبذلك يفسح المجال امام زوجته لتختار ازواجا اخرين وبهذه الطريقة تصبح الفتاة النايرية زوجة لعدد من افراد القبيلة على أن لا يزيد عددهم على الاحد عشر رجلا ، واطرف ما في الموضوع ان الفتاة هي التي تختار ازواجها بعد اقترانها بخطيبها الاول .. والغريب انها لا تقبل ان يعيش معها من ازواجها احد وانما الذين يعيشون معها من الذكور اخوتها واولادها فحسب ، لذا فلا يكون للزوج اي سلطان على الاسرة ما دام عمله قائما على السكنى الموقتة مع زوجته ولا يكون للزوجة من شاغل يشغلها الا اختيار اقوى الرجال واجملهم ما دام لها الحق المطلق في الاقتران بمن يروق لها من الرجال على ان لا يكونوا من طائفة ادنى من طائفتها حذر العار والفضيحة !

كما ان هناك المجوس من اتباع (زرادشت) الايراني وهم يعبدون النار ، وقد جرت محاورة بين امرأة مجوسية وبين المؤلف عن بعض تعاليم المجوس فقالت المرأة « لقد اكد لنا زرادشت بان الجسد دنس لانه عنصر الشر ، اما الروح فهي العنصر الطاهر .. ارتفعت عن الجسد لتتصل (بأرموزد) لذا فان طريقة التصرف باجساد موتانا قامت على ادق قواعد الصحة نتيجة لهذه العقيدة التي ترمي الى تطهير (امنا الارض) من أجسادنا البشرية الشريرة » .

قلت وكيف يكون ذلك فأجابت : ان الميت ينتقل عند الاصيل الى (برج السكون) يحمله الحمالون اما اهل الميت فلا يلمسونه خشية الدنس الذي ينتقل اليهم من الجسد الملوث ، ثم توضع الجثة حسب مركزها الاجتماعي اللائق ! فاذا كان رجلا وضع قرب السور وللمرأة موقع ممتاز.. في الوسط ، اما الطفل فمكانه حفرة قرب البئر المطهرة وبعد ان يرفع الحمالون الكفن الابيض عن الجسد لتنقض عليه العقبان المتجمعة فوق الاسوار والاشجار فيلتقط اسرعها انقضاضا العيون والخدود وكأنه عاشق عزت عليه لقيا الحبيب طويلا فتحرق للقبل فراح يمتصها من الخدود وينهبها من العيون ، وما هي الا ساعة حتى تنتهب العقبان المتكالبة الجسد فتجرده من اللحم والشحم » .

وتناول المؤلف قصة بوذا فقال « ولد هذا الانسان تحت ظلال جبال همالايا وكان ابوه اميرا على قبائلها ، وامه ابنة ملك مجاور لها وترعرع وسط الوان من الترف والمتع وقدمت له اجمل ثمرة فاقتطفها وما تلك الثمرة الا الاميرة (ياسوذارا) ابنة عمه . انطلق الشاب يوما بعربته صوب الريف وبينما كانت العربة التي يقودها حوذيه الحكيم تسير متعثرة بين المنعطفات وقع نظره على شيخ ضعيف البنية غائر العينين في اعضائه رجفة ، وفي حنكه ارتخاء يسيل لعابه من فمه الاجوف فتقزز الشاب من هذا المنظر المؤلم ولكن الحوذي همس في اذنه ـ هذه سنة الحياة يا اميري .

وقبل ان تتلاشى صورة هذا الشيخ من ذهنه المتوقد اذا بعينيه تقعان على متسول تناثرت على جلده القروح والندوب حتى غدا منظره بشعا فاكفهر وجه الشاب لهذه المناظر التي لم تتعودها عيناه في قلعته وقصره ولكن الحوذي همس مرة اخرى .. وهذه ايضا سنة الحياة يا مولاي .

وامر حوذيه ان يعود به الى قصره فلم يكد يخطو خطوات اخرى حتى وقع نظره على جثة عارية متورمة لشدة ما دب في كيانها من الفساد والتفسخ واذ ذاك همس الحوذي الحكيم في اذن سيده ـ اما هذه فنهاية الحياة ـ فصمم على ان يهجر القصر بمباهجه ومباذله وينطلق في الارض وحيدا ليبحث عن الحقيقة ! »

ولما القى المؤلف عصا الترحال في مدينة دلهي قال عنها « وتجولت سيارتنا بشوارع دلهي الجديدة الواسعة وحدائقها المنسقة وعماراتها الفخمة فهي على نقيض دلهي القديمة التي تتزاحم فيها الطبقات الفقيرة وتتلاصق الدور البالية بازقتها الضيقة القذرة حتى ليصبح مالوفا لدى الزائر لهذه المدينة ان يرى اخطبوط الفقر والجهل والمرض جاثما على الاجساد النحيفة ليمتص منها اخر قطرة من دمائهم ، كما ينتشر على قارعة الطريق كثير من الدجالين وفاتحي الفال الذين يعيشون خاملين فيقرؤون الغيب ويتكهنون بالمستقبل للفاشلين » .

وناجي جواد من كتاب القصة القصيرة في العراق ، وقد اعارها جانبا كبيرا من اهتمامه ، ونجح الى حد بعيد بمحاولته في ابداع نماذج انسانية

وانني لواثق بوعي ان ناجي جواد هو من ادبائنا الذين يحتكون بالمجتمع منفعلا ومتفاعلا معه . له القدرة على التغلغل فى البيئة التي يعايشها وانتزاع قصص حية ترسم الاجواء كما هي بلا اصباغ وتلوين ، ويطلق نفوس الشخوص على سجيتها تتحرك وتتكلم وتكافح من اجل البقاء بغير افتعال، ويتوغلون فى رحاب النور والوعي ليتبنوا المعاني والقيم الرفيعة ! وان له الموهبة فى معالجة القصة باسلوبه القصصي الفني ، وحسب التكتيك الحديث الفني بالمشاعر والاحاسيس والنوازع البشرية ، وان اعماله القصصية توحي بكثير من التفاؤل والاغتباط !

وفى كتابه (رسائل من الهند) قصة رجل هندي التقى به فى احد مطاعم دلهي لا سبيل الى الاغضاء عنها ، لانها تنم عن خيال قصصي بارع ، والقصة تبحث فى مشكلة الحب وتعرض باسلوب شائق جانباً من حياة انسان عاشق استبد به الحب فانجرف فى تياره بلا وعي ، فعانى مشاعر متضاربة ، مشاعر طاغية القلق والتوتر والحساسية والتوجس ، والمأساة ترتع فى ثنايا شخصية بطل القصة الذي انساق فى زخم عاطفته المهتاجة وعاش نهبا للصراع المرير الذي تقاذفه ، وكان يسكن مدينة (اكرا) وله محل لبيع التحف الصغيرة بالقرب من (تاج محل) وفى غرفة تطل على حانوته تقطن شابة ووالدها وكان يراقب حركاتها وسكناتها ولم يلبث ان تمكن حبها من نفسه واستطاع ان يقابلها ويبثها لواعجه ، وراح يضاعف من عمله لتوفير المال كي يخطبها ، وصارا يلتقيان خلسة واجنحة الحب ترفرف عليهما . ولما انهت امتحانها النهائي طلب يدها من ابيها جارها الشيخ الثري الذي سرعان ما زفت اليه وعبثا حاول الصبر على فراقها فتداعى كيانه وانهارت صحته وفقد ثروته فهام على وجهه فى ارجاء الهند يتسكع فى الشوارع بلا بصيص من امل ينير له درب الحياة .

وفى مدينة (اكرا) زار (تاج محل) البناء الاثري المشهور وكتب عنه يقول « لو تلمست قصة بنائه لعلمت بانها قصة محزنة ذاق مرارتها عشرون الف عامل هندي وصيني طيلة ثمانية عشر عاما تحملت كواهلهم القوية هذه الحجارة الثقيلة التي جلبت من شتى انحاء البلاد وحفرت نقوشها ايادي اقدر الفنانين والمهندسين والبنائين وانفقت ثروات كانت تغتصب من قوت الشعب ليرصعوا القبر بالماس واللآلىء النادرة والذهب الخالص، ولتشبع ببهرجته رغبة (شاه جهان) ولتخلد حبه ووفاءه لزوجته(ممتاز)»

وفى مدينة (اكرا) زار (تاج محل) البناء الاثري المشهور وكتب عنه وليظفر بامنية غالية الا وهي رؤية جبال همالايا حيث قمة افرست اعلى قمم العالم قاطبة وحيث مصيف (مسوري) الساحر الخلاب فيقول : « وها انا ارتقي اعالي الجبال الشامخة المرعبة بمسالكها الملتوية وكنت اخالها جرداء شعثاء لا ماء فيها ولا بشر ، الا انني وجدتها جنة فيحاء ومصيفا جميلا تتناثر على قممه الفنادق الملونة والقصور الفخمة والحدائق المنسقة » .

وينتقل بنا المؤلف الى الحديث عن المرأة الهندية فيقول : «فالهندوسية وهي ديانة اكثرية الشعب الهندي لا تعترف بمكانة المرأة ، اذ ان الرجل يعتبر الاها وما على المرأة الا أن تعبده . واما المسلمة فبالرغم من ان دينها السمح قد منحها كثيرا من الحقوق الا انها مع الاسف لم تتمكن من ان تفيد ولا ان تستفيد اذ تأثرت بمؤثرات محيطها فانصهرت بعادات الهندوس . والمجوسية وهي عابدة النار بفضل تسامح زوجها واتساع معارفها منحت من الحقوق ما كانت تحسد عليها . وفى الهند نوع جديد من المرأة المولدة وتدعى (الانكلو انديان) وهي تعاني احتقارا اجتماعيا قاسيا حيث لا ذنب لها بذلك » .

وهناك امر لا يطال اليه الشك ، وهو ان الحركة النسائية فى الهند قامت بدور فعال فى العمل على تحرير المرأة للحفاظ على كرامتها ، وضمان حريتها ، ولم يخب لها فى ذلك مسعى، فقد استطاعت ان تقطع اشواطا بعيدة فى مضمار نوال حقوقها الطبيعية فى المساواة مع الرجل ، وخير مثال للمرأة العصرية فى الهند ، هي السيدة (فيجايا لاكشمي) اخت السياسي الكبير المكافح الهندي الانديت جواهر لال نهرو ، فقد تمكنت هذه السيدة أن تحتل مكانا بارزا بين ساسة العالم وترأست هيئة الأمم المتحدة فى احدى الدورات ، وما تزال تعمل بنجاح فى السلك الدبلوماسي الخارجي وتمثل بلادها احسن تمثيل .

ويكتب المؤلف لابنته هيفاء عن الهند قائلا « عزيزتي : لقد رأيت الهند ، أأستطيع ان اصور لك جمالها البديع ، وطبيعتها الساحرة ، وبحرها الهادىء هدوء النفس المطمئنة ، وحدائقها المنسقة بأيد هندية فنية كأنها بأزهارها انغام منبعثة من قطعة موسيقية حالمة ، وهذه الجبال تتخللها الوديان الخضراء وتهتف بالمسرة ، وهنا وهناك نثار لازهار حية معطرة من الحور الحسان يرتدين (الساري) الهندي بالوانه الزاهية وزخرفته الفنية فتضفي رقة نسيجه على تلك القدود المائسة رقة وطراوة » .

وجاء فى الكتاب « فمن نفوس معطرة بعطور الدجل والرياء » وانا اعتقد ان العطور لا تنبعث الا من الصدق والاخلاص ، اما الدجل والرياء فهما مصدر العفونة والروائح النتنة التي تزكم الانوف . وهناك خطأ مطبعي اذ كتبت الكلمتان (حفات وعرات) بالتاء المفتوحة بينما الصواب هو التاء المتحركة (حفاة وعراة) وهذه هنات لا تستحق حتى الذكر .

وبلا ادنى ريب ان المؤلف الفاضل اصدر كتابه القيم فى ظرف مناسب سيما وان الهند شعبا وحكومة تقف من قضايا العرب الكبرى موقف المؤازر المخلص ، وتعمل دوما على مساندة الشعوب العربية لحل مشاكلهم فى جميع المحافل الدولية فدللت بذلك على حسن نواياها وتعاونها الوثيق مع العرب الذين يكافحون لبلوغ امانيهم فى الحرية والاستقلال ولخلق مجتمع سعيد . وفى الكتاب كثير من الطرائف والقصص والمشاهد استطاع فيها المؤلف ابراز وجه الهند المشرق الوضاء ، واني اترك للقارىء النابه لذة الكشف والايغال فيها .

ونحن نأمل ان يواصل الاديب ناجي جواد المحامي العمل المثمر النافع فى حقل التأليف الهادف الواعي وليكن كتابه (رسائل من الهند) اول لبنة قوية راسخة فى بناء نتاجه الفكري ستتبعه لبنات اشد قوة ورسوخا لترصين كيان الادب العربي كي يخترق نطاق الاقليمية الضيقة الى الافاق الانسانية الرحبة .

بغداد — خضر عباس الصالحي

ـ تتمة المنشور فى صفحة ٥ ـ

والتواضع التي يظهرها لمحدثه فأدى هذا الصراع العنيف الى ظهور علامات الشيخوخة عليه وهو لا يزال غض الشباب فمن قوله فى الشيب الذي علا رأسه :

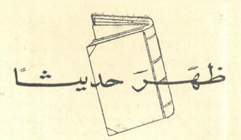
حناني الوجد حتى خلتني — حزت الثمانينا
وشاع الشيب في رأسي — ولم ابلغ ثلاثينا

وقوله :

كأنما الشعرات البيض اذ سطعت — شهب لقد رجمت دوني الشياطينا
ان الشبيبة نار ان خبت تركت — من المشيب رمادا ثابتا فينا

وانضاف الى ذلك كله محن كثيرة ادت الى اعتلال صحته وهو لا يزال فى ميعة الصبى فظل كل ايام حياته نحيلا ضعيف القوى حتى ادركته الوفاة وكان خلال مرضه الاخير كما كان دائما صابرا مؤنسا متزنا هادئا هاشا باشا كريما ، لطيف النفس ، مؤمنا بالله متفائلا بالخير .

دمشق — جميل صليبا



● الضائعون ـ مجموعة شعرية ـ لرجا سمرين ـ ٩٦ صفحة ـ مطابع الشركة الصناعية فى عمان .

● جهاد المغرب العربي ـ مجموعة شعرية ـ لمحمد علي اليعقوبي عميد الرابطة الادبية بالنجف ـ ٣٢ صفحة ـ منشورات جمعية الرابطة الادبية بالنجف ـ مطبعة النعمان بالنجف .

● الجزائر المجاهدة ـ مجموعة شعرية ـ لطائفة من الشعراء ـ ١٣٦ صفحة ـ حجم كبير ـ منشورات الرابطة الادبية بالنجف الاشرف ـ مطبعة النعمان بالنجف .

● انت وانا ـ مجموعة شعرية ـ للشاعر الفرنسي بول جيرالدي ـ نقلها شعرا الى العربية الدكتور نقولا فياض ـ ١٢٨ صفحة ـ منشورات عويدات ببيروت ـ مطبعة كرم ببيروت .

● اغان بوهيمية ـ مجموعة شعرية ـ لسليمان عواد ـ لوحة الغلاف بريشة عبد القادر ارناؤوط ـ ١٦٠ صفحة ـ منشورات دار الثقافة (؟) ـ مطبعة الجمهورية بدمشق .

● الروح الخالدة : نظرات فى عينية الحكيم الفيلسوف الرئيس ابـــن سينا ـ تاليف علي نصوح الطاهر وكيل وزارة الزراعة الاردنية ـ ١٤٢ صفحة ـ حجم كبير ـ مطبعة الجيش العربي الاردني .

● روسيا السوفياتية فى الصين ـ تاليف شيانغ كاي شك ـ (لم يذكر اسم المترجم) ـ ٣٠٤ صفحة ـ حجم كبير ـ مطابع دار الكشاف ببيروت .

● الطفل والقراءة الجيدة ـ تأليف بول ويتي ـ ترجمة سامي ناشد ـ اشراف وتقديم الدكتور عبد العزيز القوصي ـ ١٢٠ صفحة ـ الكتاب ٣٢ فى سلسلة دراسات سيكولوجية : كيف نفهم الاطفال ـ نشر بالاشتراك مع مؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر فى القاهرة ونيويورك ـ مكتبة النهضة المصرية بالقاهرة ـ مطبعة مصر بالقاهرة .

● كيف نساعد الاطفال على النجاح فى المدرسة ـ تأليف بس جـــود يكونتز ـ ترجمة سامي علي الجمال ـ مراجعة وتقديم الدكتور عبد العزيز القوصي ـ ١٠٠ صفحة ـ الكتاب ٢٣ فى سلسلة دراســـات سيكولوجية : كيف نفهم الاطفال ـ نشر بالاشتراك مع مؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر فى القاهرة ونيويورك ـ مكتبة النهضة المصرية بالقاهرة ـ مطبعة مصر بالقاهرة .

● فى مجموعة القصص الادبية العالمية ـ منشورات دار المعارف لبنان ـ مطابع دار المعارف بيروت : الارض اللعينة ـ تأليف ف. بلاسكو ايبانيز ـ ترجمة عبد اللطيف شرارة ـ ٨٠ صفحة .
عذاب النفوس الكبيرة ـ تاليف رومان رولان ـ ترجمة عبد اللطيف شرارة ـ ١٧٦ صفحة .
زوجة الكولونيل وقصص اخرى ـ تاليف سومرست موم ـ ترجمة عبد اللطيف شرارة ـ ١٥٨ صفحة .
ثمن الشرف وقصص اخرى ـ تاليف بروسبير مريمه ـ لم يذكر اســم المترجم ـ ١٦٠ صفحـــة .

● لم قدر علي هذا ؟ ـ تاليف ايرل شنك مايرز ـ ترجمة فاطمـــة محجوب ـ تقديم حسين القباني وصبحي الجيار ـ الغلاف بريشة سميحة حسنين ـ ١٤٨ صفحة ـ نشر بالاشتراك مع مؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر فى القاهرة ونيويورك ـ منشورات مؤسسة الخانجي بالقاهرة ـ مطبعة لجنة التاليف والترجمة والنشر بالقاهرة .

● فى مجموعة الحياة والحب ـ منشورات دار المعارف لبنان ـ مطابع دار المعارف بيروت : جبل الالهة ـ عبد الله حشيمة ـ تقديم سعيد عقل ـ الرسوم لجان مشعلاني ـ ١٤٦ صفحة .
الغانية نانا ـ تاليف اميل زولا ـ لم يذكر اسم المترجم ـ ١٦٨ صفحة .
الشيطان فى اللحم ـ تاليف ريمون رايغه ـ لم يذكر اسم المترجم ـ ١٢٨ صفحـــة .
الفتاة المتحررة ـ تاليف بيجي جودين ـ لم يذكر اسم المترجم ـ ١٦٠ صفحـــة .
انستازيا ـ تاليف هانس نوغلي ـ تلخيص بهيج شعبان ـ ١٧٦ صفحة .
المحتال ـ تاليف جيمس م. كين ـ لم يذكر اسم المترجم ـ ١٥٢ صفحة.

● اغاني الحان القديم ـ مجموعة شعرية ـ لعبد الخالق فريد ـ لوحة الغلاف بريشة يحي جواد ـ ١١٢ صفحة .. دار مطبعة التمدن ببغداد .

● اشراق ـ مجموعة شعرية ـ لكامل سليمان ـ ١٦٠ صفحة ـ منشورات مكتبة العرفان ببيروت ـ لم يذكر اسم المطبعة .

● وجها لوجه : بحث فى الاسس التي يرتكز عليها المجتمع الفاضل فى البلدان العربية ـ تاليف ايلي سالم دكتور فى الفلسفة السياسية ـ ١٢٨ صفحة ـ منشورات دار المعارف لبنان ـ مطابع دار المعارف بلبنان .

● موعد مع الشدائد او الممر الشمالي الغربي ـ الجزء الثاني ـ تاليف كنيث روبرتس ـ ترجمة امينة السعيد ـ ٢٨٨ صفحة ـ الكتاب ٤ سلسلة من القصص العالمي ـ نشر بالاشتراك مع مؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر فى القاهرة ونيويورك ـ منشورات مكتبة النهضة المصرية بالقاهرة ـ مطبعة لجنة التاليف والترجمة والنشر (؟)

● رواد الصواريخ فى طريقها الى الفضاء ـ تاليف بريل وليامز وصمويل ابشتين ـ تقديم فرنر فون براون ـ ترجمة وتصدير الدكتور محمد جمال الدين الفندي استاذ الطبيعة الجوية بجامعة القاهرة ـ الغلاف بريشـــة رفيق البابلي ـ ٢٧٢ صفحة ـ حجم كبير ـ نشر بالاشتراك مع مؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر فى القاهرة ونيويورك ـ منشورات مكتبة النهضة المصرية بالقاهرة ـ مطابع دار القلم بالقاهرة .

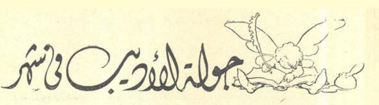
● التشريع الضريبي فى العراق الخاص بضريبة الدخل : شروح وتعليقات ونصوص قانونية ـ تاليف عبد الرزاق الجزار ـ ١٤٦ صفحة ـ حجم كبير ـ دار مطبعة التمدن ببغداد .

● Le Vizirat Abbaside de 749 à 936 (132 à 324 de l'Hégire) — Tome 1 — par Dominique Sourdel — 384 pages — gd. f. — Editions Institut Français de Damas — Imprimerie Catholique à Beyrouth.

● The Arab Federalists of the Ottoman Empire — by Dr. Hassan Saab — Lecturer in Political Science at the American University of Beirut — 324 pages — Publisher : Djambatan, Amsterdam — Printed in the Netherlands.

● Concise Encyclopaedia of Arabic Civilization — The Arab East — by Stephan and Nandy Ronart — 592 pages — Publisher : Djambatan, Amsterdam — Printed in the Netherlands.

● Dynamik und Dogma im Islam — by Dr. J. Hans — 128 pages — Publisher : E. J. Brill, Leiden Niederlande.



علـــم المجاميـــع الانسانيـــة

العلاقات بين الافراد امر له اهميته ، ولكننا قلما نهتم به . فنحن نسلم بان كل مجموعة من الافراد لا تخلو من ميول تؤلف بين البعض وتباعد بين البعض الاخر ولكننا لا نفكر ان امثال هذه الحالات يمكن التغيير منهـا وتوجيهها . فاذا كان بين مجموعة من العمال ، عاملان وكلت اليهما مهمة واحدة وكانت العلاقة بينهما يسودها الشقاق رأينا المشرف على العمل لا يتدخل ليباعد بينهما الا بعد ان يستفحل الامر متخذا صورة النزاع المكشوف .

ونحن لكي نزيد انتاج مصنع من المصانع ندرس عددا من العـوامل ولكننا لا نكاد نعنى بالعامل الجوهري ، واعني به نفسية الجماعة .ونحن ننهج فى تكوين فرق العمل على مناهج آلية . بل لقد يبلغ الامر حـدا يجعلنا نسمع هذا المسؤول او غيره يقول : «لو انا اخذنا فى الاهتمـام بما بين مرؤوسينا من الميول الذاتية لما فرغنا من ذلك ابدا . » ومع هذا يثبت العلم العكس .

ان علم النفس يهتم بالانسان الفرد ، ويهتم علم الاجتماع بالمجتمعات الانسانية . ولكن بين الفرد والمجتمع خلية لها اهميتها القصوى واعنى بها «مجموعة الافراد» . فالمسافرون فى احدى مقصورات القطار يؤلفون مجموعة . كذلك التلاميذ فى فصلهم او الاجراء فى المزرعة الواحدة او الاعضاء الذين يتالف منهم فريق رياضي او المشتركون فى رحلة كشفية .. فلو فكرنا فى الامر قليلا لرأينا ان المجموعات الانسانية ظاهرة بالغة الاهمية وانها تملك التغيير من نفوس الافراد الداخلين فى تكوينها تغييرا كليـا شاملا

ومع ذلك ما من احد فكر فى دراسة المجاميع الانسانية دراسة فنية قبل ان يتعرض لذلك الدكتور ج . مورينو مؤسس علم القياس الاجتماعي واغلب الظن ان هذا العلم ما كان ليتجاوز مرحلة البحث النظري المحض لولا الحرب ولولا قائد امريكي كان هو المسؤول عن الطائرات فى المحيط الهادي وكان احد المعجبين بافكار مورينو . فلقد روع الرجل اذ رأى اعضاء فرقة المهاجمة لا تعود بعد كل مهمة توكل اليها الا وقد نقص عددها نقصا فادحا . ما السبيل الى التخفيف من هذه الخسائر المروعـة ؟ ترى ماذا يقع لو انه استعان بمناهج القياس الاجتماعي ؟

ولم يكن من الممكن فى اول الامر تطبيق هذه المناهج فى تنظيم الاسراب تنظيما جديدا شاملا وانما اقتصر الامر على الاستعانة بها فى تكييف تشكيل الفرق المهاجمة قبل كل حملة من حملاتها فكان كل قائد طيـارة يسأل عن الرفيق الذي يود لو رأى طيارته تطير قريبة منه .. وسرعان ما صارت تشكيلات القاذفات تنظم جميعها وفاقا لقواعد القياس الاجتماعي وكان من اثر ذلك ان انخفضت نسبة الخسائر انخفاضا يتراوح بيـن ٢٥ بالمئة و ٥٠ بالمئة .

ذلك ان الكل صار يشعر انه يطير والى جانبه ـ جناحا بجناح ، ان جاز التعبير ـ طيار لا تقتصر صفاته على القدرة الموثوق بها بل طيـار يستطيع هو الاعتماد عليه اعتمادا شخصيا فقد اختار بنفسه ، انسانـا تربطه به روابط الثقة ، ورفيقا سوف يطير الى معاونته ساعـة المحنـة بمثل استعداده هو الى الدفاع عنه . ولقد يعترض البعض قائلا : ان كل هذا انما هي دقائق نفسية لا سبيل الى وزنها . ولكن الواقع ان هذه الدقائق قد اعانت على الاقتصـاد فى خسائر الارواح المعرضة لهـذه المخاطـر اقتصادا بلغت نسبته الربع بـل النصـف احيانـا .

وحيال هذه النتائج بدأ الرئيس روزفلـت بدوره يعنى بافكار الدكتور مورينو وتشتـد حماسته لها فصنع الشيء الكثير من اجـل تعميمها بين القوات الاميركية المسلحة .

ففيم يقوم على التحديد هذا العلم ، علم القيـاس الاجتماعي ؟ ان الرياضيات تقوم فيه بنصيب كبير . ولكن الاساس الاول هو البحث القياسي . «فيسأل كل عضو منتسب الى مجموعة من المجموعات . » مع من تحب ان تؤدي هذه المهمةاو تلك ؟ ومن الزميل الذي تحب التعاون معه فى كتيبة من الكتائب الفدائية ؟ ... الخ ويطلب الى فرد انيدلي باختيارين : اذا استحال الاختيار الاول فمن الذي تؤثره فى المحل الثاني؟ ثم يؤخذ فى فرز نتائج هذا الاقتراح الذي يجري بطريقة سرية بطبيعة الحال .. ومن هذا الفرز يتكشف عدد لا حد له من الملاحظات البالغـة الاهمية .

ذلك اننا سوف نرى عددا قليلا من الافراد سوف يقع عليـهم اختيار عدد كبير من الرفاق : هؤلاء يمكن ان نعدهم بمثابة مراكز الجذب فـي المجموعة وهم المهيئون لان يكونوا القادة . وسنرى ايضا عددا اخـر من الاختيارات يدلي فيها كل واحد بصوته الى زميل اخر بينما يدلى الاخر بصوته اليه : هؤلاء ازواج من الاصدقاء . فاذا كان ثمة زوج ولم يلق فيه احد الطرفين الا صوت الاخر كان معنى ذلك ان الصداقـــة المتبادلة بينهما تفوق اندماجهما فى داخل الجماعة . وسنرى عددا اخر من الاختيارات تجري على نحو متسلسل : ذلك اذا اختار أ الزميل ب. واختـار ب الزميل ج. واختار ج الزميل د . ولقد تتألف من هـذه السلاسل حلقات حين يعود اختيار د الى أ .

ولكننا سوف نرى ايضا عددا من الافراد لا يختارهم احد على الاطلاق.

هؤلاء افراد لم يتسن اندماجهم فى المجموعة وسوف يكون من الصعب الانتفاع بهم فى الفريق . كيف يستفيد سرب من اسراب الطيران مثلاه من رجل لا يرغب احد على الاطلاق فى زمالته مهما بلغت بعد ذلك كفاءته ؟

ولكن الضرر قد ينجم ايضا عن العكس ، اي عن شدة اعتمادالمجموعة على رجل واحد يرغب الجميع فى زمالته . فانسب الحالات هي تلك التي يطلعنا فيها الرسم البياني للمجموعة ـ وهو رسم توضح فيها اختيارات الاعضاء المختلفين بواسطة السهام ـ على صلات متشابكة متداخلـة . ونقول فى هذه الحالة : ان المجموعة على درجة كبيرة من «التكامل» .

وقد يتبين من الرسم البياني ان المجموعة منقسمة قسمين ، وذلك حين يتبادل جزء من اعضائها الاختيار فيما بينهم بينما يصنع مثلهـم اعضاء الجزء الاخر دون ان يخرج اي صوت من اولئك الى هؤلاء ، هذا ايضا «مرض» من امراض المجموعة .

ولقد تبينت من دراسة التفاوت فى انتاج المجموعات العمالية فىالمصانع ودراسة التحصيل المدرسي الفردي بين تلاميذ الفصل الواحد نتائج لها اهميتها : فاشد المجموعات العمالية تكاملا هي ايضا اكثرها انتاجا والتلاميذ المعزولون او المغضوب عليهم من المجموعة يتخلفون فى معظم الاحيان عن الدراسة . كل هذا يثبت ان المجموعة لها حياتها الخاصة وان هذه الحياة تؤثر فى فاعلية الكل وفى فاعلية كل على حدة .

ولا شك فى ان النتائج لم تكن بعيدة عن ظننا . ولكن ما من احد فكر فى الاهتمام الفعلي بهذه المسائل قبل الدكتور مورينو . فهذا العالـم والطبيب النفسي هو الذي وضع جميع مناهج القياس الاجتماعي جملة وتفصيلا وابتكرها ابتكارا . واكثر من ذلك انه دلنا على الطرق التـي تتسنى بها وقاية المجموعات من «الامراض» الخاصة بها وعلاجها . وهو

يقوم اليوم بتدريس هذا العلم في جامعة نيويورك . كما انه قد عـاد قريبا من رحلة في انحاء الاتحاد السوفياتي قام خلالها بالقاء المحاضرات عن العلم الذي هومؤسسه وقدم نماذج من تطبيقاته . وان نظرياته لتستطيع ان تجد مجالا واسعا للتطبيق في بلد تحظى فيه المجاميع الانسانية باهمية كبـرى .

بيير دي لاتيـل

•

مسألـة الشعـــر الحديـث

مسألة الشعر الحديث يكثر فيها الكلام ويتصل فيها الاخذ والرد دون ان نرى من هذا الشعر الحديث شيئا يفرض نفسه على الادباء فرضا بل دون ان نرى منه شيئا ذا طائل . وانا اعلم ان من الشباب طائفة يرون لانفسهم الحق في ان ينحرفوا عن مناهج الشعر القديم وعن اوزانـه وقوافيه خاصة . ولست اجادلهم في هذا الحق بل ليس لي ان اجادلهم فيه فاوزان الشعر القديم وقوافيه لم تتنزل من السماء وليس ما يمنـع الناس ان ينحرفوا عنها انحرافا قليلا او كثيرا او كاملا .. ولكن للشعر قديما كان او حديثا اسسا يجب ان ترعى وخصائص يجب ان تتحقق فليس يكفي ان ينشىء الانسان كلاما على اي نحو من انحاء القول ثم يزعم لنا انه قد انشأ شعرا حديثا وانما يجب ان يحقق في هذا الكلام الذي ينشئه اشياء ليس الى التجاوز عنها سبيل .

فالشعر يجب ان يبهر النفوس والاذواق بما ينشىء فيه الخيال مـن الصور ويجب ان يسحر الاذان والنفوس معا بالالفاظ الجميلة التـي تمتاز احيانا بالرصانة والجزالة وتمتاز احيانا اخرى بالرقة واللـين وتمتاز في كل حال بالامتزاج مع ما تؤديه من الصور لتنشىء هذه الموسيقى الساحرة التي لا تنشأ من انسجام الالفاظ فحسب ولا من التئام الصور فحسب وانما تنشأ من هذا الائتلاف العجيب بين الصور في انفسها وبينها وبين الالفاظ -التي تجلوها بحيث لا يستطيع السمع ان ينبو عنها ولا تستطيع النفس ان تمتنع عليها ولا يستطيع الذوق الا ان يذعن لها ويطمئن اليها ويجد فيها من الراحة والبهجة ما يرضيه فاذا استطاع الذين يحبون هذا الشعر الحديث ان يقدموا الينا منه ما يمتعنا حقا فمن الحمق ان ننكره، او نلتوي عنه لا لشيء الا لانه لم يلتزم ما كان القدماء يلتزمون من الاوزان والقوافي .

وابتكار الشعر الحديث والافتنان في هذا الابتكـار ليس شيئا يمتـاز به شعراء العرب المعاصرون عن الامم الاخرى وانما هو شيء قد سبق اليه شعراء الغرب منذ وقت طويل فشعراؤنا حين يجددون لا يبتكرون وانما يقلدون قوما سبقوهم وليس عليهم بأس اذا اجادوا واحسنوا وعرفوا كيف يبلغون من نفوس معاصريهم ما بلغ شعراء الغرب من نفـوس الغربيين على ما يكون بين الغربيين من اختلاف اللغات وتباعد الاذواق بل ليس شبابنا من العرب المعاصرين حين ينشئون شعرهم الحديث مبتكرين بالقياس الى الشعراء القدماء من العرب فما اكثر ما تطورت اوزان الشعر العربي القديم وقوافيه والدارسون للادب العربي يعلمون حق العلم ان الشعر العربي لم يكد يعيش نصف قرن بعد ظهور الاسلام حتى اخـذت اوزانه تخضع لالوان من التطور ،دخلت عليه الموسيقى التي جاءت بها الشعوب المغلوبة ودخلت عليه حضارة جديدة لم يألفها الشعراء العـرب الجاهليون فتغيرت النفوس وتطورت الطباع ورقت الاذواق وصفت .

ولم يكن للشعر بد من ان يتأثر بهذا كله ويصبح ملائما للحضـارة الجديدة وما انشأت من طباع جديدة واذواق جديدة ايضا . وقصـرت اوزان الشعر وخفت لتكون ملائمة للتوقيع الموسيقي الحديث . وظهر ذلك التطور اول ما ظهر في الحجاز وفي المدينتين المقدستين بنوع خاص، وكان الحجاز جديرا ان يكون قلعة المحافظة في الادب العربي ولكنه كان السابق الى تطوير الشعر لانه كان السابق الى الترف والسابق الـى الموسيقى ، والسابق الى الغناء والسابق بحكم هذا كله الى تطوير الشعر لترقيق الفاظه وتقصير اوزانه وتحضير صوره .. ولا اذكر ما طرأ في العراق في الوان التطور الذي عرض للادب كله شعره ونثره منذ النصف القرن الثاني للهجرة . فاما ما طرأ على الشعر في الاندلس فهو اظهر واشهر واقرب الى اوساط المثقفين من ان احتاج الى الوقوف عنده .

فليتوكل شبابنا من الشعراء على الله ولينشئوا لنا شعرا حـرا او مقيدا جديدا او حديثا ولكن ليكن هذا الشعر شائقا رائعا ويومئذ لن يروا منا الا تشجيعا اي تشجيع وترحيبا اي ترحيب ودفاعا عنهم ان احتاجوا الى الدفـاع .

القاهـرة — طـه حسين

•

اتجاهات جديدة في القصة الاميركية

بالرغم من الدور الذي يلعبه النقد الادبي في الكشف عن كفاءات مخبوءة لدى الكتاب الشباب والتعريف بقدرتهم على الخلق والابداع ، فلا يزال وضع كتاب القصة القصيرة من هذه الناحية غير طبيعي بعض الشيء . فالنقاد يهملون القاص ويعرضون عن انتاجه طالما بقيت قصصه دون جمع في كتاب خاص يسترعي انتباه الناقدين . ولحسن الحظ ان مثل هذا الوضع هو اعجز من ان يثبط من همم مئات الكتاب الذين يعالجون القصة القصيرة ، سواء أكانوا كتابا محترفين لها او اساتذة يدرسون الادب في الجامعات .

والطريق المشجع لهذا الفريق من الكتاب ان معظم الناشرين في اميركا هم عيون شاخصة وابصار لاقطة للشهرات الطالعة والاسماء اللامعة بين كتاب القصة فما يكاد يبرز واحد بينهم حتى يولونه كل اهتمامهم . وعدد من هؤلاء الكتاب النابهين ، يجدون التشجيع كله من قبل المجلات الادبية الكبيرة مثل « هاربرز » و « اطلنتيك » و « نيويورك الاسبوعية » كما ان المجلات الفصلية تفتح ابوابها وحقولها للاقلام الناشئة . ومن جهة ثانية نرى المجلات النسائية في اميركا ، امثال « هاربرز بازار » و « فوغ » و « مدموازيل » تنشر مع غيرها من المجلات الخاصة بالرجال مثل «اسكواير» روائع مرموقة لهؤلاء الكتاب الناشئين . وتنحو هذا النحو المجـلات الشعبية التي تسارع هي ايضا لتفكهة قرائها بنشر ما يصفونه بالقصص المثـيرة .

ولكن ما عسى ان يكون شكل هذه القصص وموضوعها يا ترى ؟ تأتي هذه القصص وفقا لما يريدها واضعوها ، كما نرى ذلك مثلا عنـد القصاصين الذين لمعوا من نحو قرن تقريبا ، امثال هوثورن وملفيل وبو . وقد اهتم بعض النقاد بطريقة هوثورن التي يتوخى فيها تقصي الحقيقة والكشف عن اسرار القلب البشري ، وبينهم من توخى وصف المظاهـر الخارجية للحياة كما تبدو حولهم وامامهم . وبالرغم من الحرية المتروكة للقصاصين في معالجتهم موضوعاتهم كما يروق لهم ، فاننا نرى مع ذلك ، اتجاهات جديدة يترسمها الكاتب ويضعها نصب عينيه . فالحبكة في القصة كانت من مدة قريبة من هذه الامور التي يوليها القصاص اهتمامه الاثير . وليس من الصعب ان نلمس اليوم في القصاص الرغبة في رسم شخوص روايته وسيلة الى غايته بدلا من الغاية نفسها ، فيتخذ من مادة الموضوع ووصف الحوادث سبيلا لاثارة شعور خاص في نفس القارىء .

ومهما يكن من موضوع القصة او مبناها ، فالقصة القصيرة تبرز اليوم على الشكل الذي اراده القصاص المشهور هنري جايمس ، بناء كاملا تعمل

يقوم اليوم بتدريس هذا العلم في جامعة نيويورك . كما انه قد عـاد قريبا من رحلة في انحاء الاتحاد السوفياتي قام خلالها بالقاء المحاضرات عن العلم الذي هومؤسسه وقدم نماذج من تطبيقاته . وان نظرياته لتستطيع ان تجد مجالا واسعا للتطبيق في بلد تحظى فيه المجاميع الانسانية باهمية كبــرى .

بيير دي لاتيـل

•

مسألـة الشعــر الحديـث

مسألة الشعر الحديث يكثر فيها الكلام ويتصل فيها الاخذ والرد دون ان نرى من هذا الشعر الحديث شيئا يفرض نفسه على الادباء فرضا بل دون ان نرى منه شيئا ذا طائل . وانا اعلم ان من الشباب طائفة يرون لانفسهم الحق في ان ينحرفوا عن مناهج الشعر القديم وعن اوزانــه وقوافيه خاصة . ولست اجادلهم في هذا الحق بل ليس لي ان اجادلهم فيه فاوزان الشعر القديم وقوافيه لم تتنزل من السماء وليس ما يمنـع الناس ان ينحرفوا عنها انحرافا قليلا او كثيرا او كاملا .. ولكن للشعر قديما كان او حديثا اسسا يجب ان ترعى وخصائص يجب ان تتحقق فليس يكفي ان ينشىء الانسان كلاما على اي نحو من انحاء القول ثم يزعم لنا انه قد انشأ شعرا حديثا وانما يجب ان يحقق في هذا الكلام الذي ينشئه اشياء ليس الى التجاوز عنها سبيل .

فالشعر يجب ان يبهر النفوس والاذواق بما ينشىء فيه الخيال مـن الصور ويجب ان يسحر الاذان والنفوس معا بالالفاظ الجميلة التـي تمتاز احيانا بالرصانة والجزالة وتمتاز احيانا اخرى بالرقة واللـين وتمتازق كل حال بالامتزاج مع ما تؤديه من الصور لتنشىء هذه الموسيقى الساحرة التي لا تنشأ من انسجام الالفاظ فحسب ولا من التئام الصور فحسب وانما تنشأ من هذا الائتلاف العجيب بين الصور في انفسها وبينها وبين الالفاظ التي تجلوها بحيث لا يستطيع السمع ان ينبو عنها ولا تستطيع النفس ان تمتنع عليها ولا يستطيع الذوق الا ان يذعن لها ويطمئن اليها ويجد فيها من الراحة والبهجة ما يرضيه فاذا استطاع الذين يحبون هذا الشعر الحديث ان يقدموا الينا منه مايمتعنا حقا فمن الحمق ان ننكره، او نلتوي عنه لا لشيء الا لانه لم يلتزم ما كان القدماء يلتزمون من الاوزان والقوافي .

وابتكار الشعر الحديث والافتنــان في هذا الابتكـار ليس شيئا يمتـاز به شعراء العرب المعاصرون عن الامم الاخرى وانما هو شيء قد سبق اليه شعراء الغرب منذ وقت طويل فشعراؤنا حين يجددون لا يبتكرون وانما يقلدون قوما سبقوهم وليس عليهم بأس اذا اجادوا واحسنوا وعرفوا كيف يبلغون من نفوس معاصريهم ما بلغ شعراء الغرب من نفــوس الغربيين على ما يكون بين الغربيين من اختلاف اللغات وتباعد الاذواق بل ليس شبابنا من العرب المعاصرين حين ينشئون شعرهم الحديث مبتكرين بالقياس الى الشعراء القدماء من العرب فما اكثر ما تطورت اوزان الشعر العربي القديم وقوافيه والدارسون للادب العربي يعلمون حق العلم ان الشعر العربي لم يكد يعيش نصف قرن بعد ظهور الاسلام حتى اخـذت اوزانه تخضع لالوان من التطور ،دخلت عليه الموسيقى التي جاءت بها الشعوب المغلوبة ودخلت عليه حضارة جديدة لم يالفها الشعراء العـرب الجاهليون فتغيرت النفوس وتطورت الطباع ورقت الاذواق وصفت .

ولم يكن للشعر بد من ان يتأثر بهذا كله ويصبح ملائما للحضــارة الجديدة وما انشأت من طباع جديدة واذواق جديدة ايضا . وقـصرت اوزان الشعر وخفت لتكون ملائمة للتوقيع الموسيقي الحديث . وظهر ذلك التطور اول ما ظهر في الحجاز وفي المدينتين المقدستين بنوع خاص، وكان الحجاز جديرا ان يكون قلعة المحافظة في الادب العربي ولكنه كان السابق الى تطوير الشعر لانه كان السابق الى الترف والسابق الـى الموسيقى ، والسابق الى الغناء والسابق بحكم هذا كله الى تطوير الشعر لترقيق الفاظه وتقصير اوزانه وتحضير صوره .. ولا اذكر ما طرأ في العراق في الوان التطور الذي عرض للادب كله شعره ونثره منذ النصف القرن الثاني للهجرة . فاما ما طرأ على الشعر في الاندلس فهو اظهر واشهر واقرب الى اوساط المثقفين من ان احتاج الى الوقوف عنده .

فليتوكل شبابنا من الشعراء على الله ولينشئوا لنا شعرا حـرا او مقيدا جديدا او حديثا ولكن ليكن هذا الشعرشائقا رائعا ويومئذ لن يروا منا الا تشجيعا اي تشجيع وترحيبا اي ترحيب ودفاعا عنهم ان احتاجوا الى الدفــاع .

القاهـرة

طـه حسين

•

اتجاهات جديدة في القصة الامريكية

بالرغم من الدور الذي يلعبه النقد الادبي في الكشف عن كفاءات مخبوءة لدى الكتاب الشباب والتعريف بقدرتهم على الخلق والابداع ، فلا يزال وضع كتاب القصة القصيرة من هذه الناحية غير طبيعي بعض الشيء . فالنقاد يهملون القاص ويعرضون عن انتاجه طالما بقيت قصصه دون جمع في كتاب خاص يسترعي انتباه الناقدين . ولحسن الحظ ان مثل هذا الوضع هو اعجز من ان يثبط من همم مئات الكتاب الذين يعالجون القصة القصيرة ، سواء أكانوا كتابا محترفين لها او اساتذة يدرسون الادب في الجامعات .

والطريق المشجع لهذا الفريق من الكتاب ان معظم الناشرين في اميركا هم عيون شاخصة وايصان لاقطة للشهرات الطالعة والاسماء اللامعة بين كتاب القصة فما يكاد يبرز واحد بينهم حتى يولونه كل اهتمامهم . وعدد من هؤلاء الكتاب النابهين ، يجدون التشجيع كله من قبل المجلات الادبية الكبيرة مثل « هاربرز » و « اطلنتيك » و « نيويورك الاسبوعية » كما ان المجلات الفصلية تفتح ابوابها وحقولها للاقلام الناشئة . ومن جهة ثانية نرى المجلات النسائية في اميركا ، امثال « هاربرز بازار » و « فوغ » و « مدموازيل » تنشر مع غيرها من المجلات الخاصة بالرجال مثل« اسكواير» روائع مرموقة لهؤلاء الكتاب الناشئين . وتنحو هذا النحو المجـلات الشعبية التي تسارع هي ايضا لتفكهة قرائها بنشر ما يصفونه بالقصص المثـيرة .

ولكن ما عسى ان يكون شكل هذه القصص وموضوعها يا ترى ؟ تأتي هذه القصص وفقا لما يريدها واضعوها ، كما نرى ذلك مثلا عنــد القصاصين الذين لمعوا من نحو قرن تقريبا ، امثال هوثورن وملفيل وبو . وقد اهتم بعض النقاد بطريقة هوثورن التي يتوخى فيها تقصي الحقيقة والكشف عن اسرار القلب البشري ، وبينهم من توخى وصف المظاهـر الخارجية للحياة كما تبدو حولهم وامامهم . وبالرغم من الحرية المتروكة للقصاصين في معالجتهم موضوعاتهم كما يروق لهم ، فاننا نرى مع ذلك ، اتجاهات جديدة يترسمها الكاتب ويضعها نصب عينيه . فالحبكة في القصة كانت من مدة قريبة من هذه الامور التي يوليها القصاص اهتمامه الاثير . وليس من الصعب ان نلمس اليوم في القصاص الرغبة في رسم شخوص روايته وسيلة الى غايته بدلا من الغاية نفسها ، فيتخذ من مادة الموضوع ووصف الحوادث سبيلا لاثارة شعور خاص في نفس القارىء .

ومهما يكن من موضوع القصة او مبناها ، فالقصة القصيرة تبرز اليوم على الشكل الذي اراده القصاص المشهور هنري جايمس ، بناء كاملا تعمل

كل العناصر التي يتالف منها لابرازه وجلوه . وفى اميركا اليوم عشرات من كتاب القصة القصيرة يقدر لهم العارفون ان يبلغوا فى شهرتهم النامية مرتبة همنفواي وفولكنر وكاترين ان بورتر وكاي بول . من هؤلاء مثلا اودورا ولتي وجان ستافورد وجون تشيفر وترومان كابوت ، وولاس ستيغنر ، و ج. د. صولنجر ، وبرنارد مالامود ، اذا اكتفينا بهذا العدد واقتصرنا عليهم .

ويبرز العديد من كتاب القصة للانظار كما يستدل من المجموعات القصصية التي ظهرت فى السنة الماضية . وظهور هذه المجموعات فى كتاب مستقل ، مع انه سبق لاكثرها ان ظهر منفردا فى عدد من الدوريات ، يجعلها لاول مرة عرضة للنقد الادبي من قبل النقاد ، كما يفيض لها شيئا من الديمومة والاستقرار . صحيح أن كل هذه القصص او المجموعات القصصية التي ظهرت حديثا ليست كلها روائع جيدة ، فلا يزال الكثير منها دليلا على ان النضج الفني لم يبلغ كماله بعد . ولكن غالبا ما نعثر بينها على قصص بلغت منتهى الروعة مبنى ومعنى ، تنبض بالحياة ، وتنتزى بالادب والثقافة العاليين .

يبرز ذلك فى عدد من مجاميع القصص التي وضعتها سلفيا بركمان بعنوان « صحراء بلاكبرى » فقصصها هذه روعة بانطلاق الخيال ، وبوصف الصحارى والفيافي . وتبرز شخوص رواياتها فى جو سديمي يصعب عليك ان تتبين فيه صلات الناس العادية فتردها الى عالم الاحلام . وهذا الابداع يبرز على روعته فى المجموعة القصصية التي وضعها جون ابدايك بعنوان « الباب ذاته » ، حيث يصف لنا اتصالات اناس اغراب عن بعضهم البعض وما ادت اليه هذه الاتصالات من غرائب الصدف . ومن هنا يتضح ان القصة القصيرة اليوم وكما كانت فى الامس القريب والبعيد على السواء من ابرز قسمات الادب .

•

الف مدرسة فى عيد بولونيا الالفي

ان انشاء المدارس مشكلة تشغل عددا كبيرا من البلاد ، فعدد التلاميذ يزدادبنسب كبيرة فى كل مكان بينما عدد المدارس فى معظم البلاد يقل عن الكفاية .

وتزداد هذه المشكلة حدة فى بولونيا . فهناك ــ الى جانب الزيادة فى عدد السكان ــ عامل الخسائر الفادحة الناجم عن اتساع التدمير الذي سببته الحرب . لهذا كان حل المشكلة ، باعتراف السلطات انفسها ، يقتضي تضافر السكان جميعا .

من اجل هذا السبب اطلق فى النصف الثاني من عام ١٩٥٨ الشعار الاتي : « الف مدرسة للعيد الالفي للدولة البولونية » ــ وهو العيد الذي سيحتفل به فى خلال سنة ١٩٦٠ .

وكان ان لاقت الفكرة ترحيبا كبيرا من جميع الاوساط : فهل هناك صورة من صور الاحتفال بالعيد الالفي تفضل انشاء الف مدرسة جديدة سوف يدخل فنها المعماري الجرىء احدث التصورات فى جميع المدن الصغرى بل فى قرى البلاد النائية ، ففضلا عما ستوفره للتعليم وللتقدم الثقافي من اطار جميل مناسب جذاب ؟

وعلى ذلك نظمت من اجل هذا الغرض حملة واسعة . فكونت اللجان فى كل مكان وجمعت المساعدات سواء بالنقد او بمواد البناء او فى صورة المساهمة بالعمل الفردي . وانتهت هذه الحملة فى نوفمبر ١٩٥٨ بتكوين اللجنة الوطنية لانشاء المدارس . وعلى عاتق هذه اللجنة تقع مهمة تنسيق الجهود المختلفة فى خطة شاملة .

ولقد سارع اتحاد المهندسين البولونيين الى اجابة النداء على الفور . فاشترك اعضاؤه مع الادارات الرسمية فى اختيار عشرة مشروعات بين جميع المشروعات المقدمة يمكن اعتبارها بمثابة النماذج .

ثم اعقبت هذه المرحلة الاولى مرحلة ثانية فى عام ١٩٥٩ القصد منها هو تنظيم مسابقة واسعة من اجل وضع نموذج مدرسة قروية ، على ان يتضمن المشروع عدا فصول الدراسة قاعات ذات غرض اجتماعي وتثقيفي مثل المكتبة وقاعات القراءة والاجتماع ، الخ ، بحيث تكون المدرسة فى القرية مركز اشعاع ثقافي ينتفع به اولئك الذين اتموا دراستهم او لم يجدوا الفرصة للمضي فيها الى الحد الكافي .

لقد نظمت المسابقة فى منتصف عام ١٩٥٩ وانتهت بتوزيع ثماني جوائز وكثير من براءات التقدير على عشرة مشروعات امتاز تصورها المعماري بجدته الفائقة ، حتى ان تحقيقها سوف يكون خلقا لاطارات جديدة للحياة وتهيئة لجو حديث سوف يكون له اثر تربوي كبير فى نفوس الاطفال وفى تشكيل اذواقهم واهتماماتهم . فالمدرسة سوف تزودهم بانماط جديدة للحياة سوف تحثهم على تغيير البيئة المحيطة بهم .

غير ان طرافة التصورات المعمارية ليست بالامر الذي يسهل قبوله ، بل هو يقتضي ترويجا ذكيا يشمل جميع من يعنيهم الامر : المعلمين والمولين واتحادات الاباء ، بل بعض المهندسين .

وتحقيقا لهذا الغرض نظم اتحاد المهندسين البولونيين فى وارسو وفى كثير من المراكز القروية معارض ومناظرات تدور حول تطور الفن المعماري الحديث وتقارن بين الطرق القديمة والحديثة فى تنمية اهتمام السكان بهذه المسائل .

ولكي تتسنى فرصة المقارنة المجدية عنى منظمو الحملة بان يجمعوا قدرا كبيرا من الوثائق المتنوعة . وهكذا نظم معرض عن مشروعات البناء المدرسي التي تم تنفيذها فى الولايات المتحدة ــ وهو معرض اثار اهتماما كبيرا واتاح الفرصة للخروج بعدد من الملاحظات القيمة النافعة على الرغم من اختلاف المبادىء فيما يتعلق بطريقة الادارة والمناهج والملابسات الجغرافية والاجتماعية والاقتصادية .

هذا كما قام اتحاد نقابات المهندسين اليوغوسلافيين الذي يولي هو الاخر مشكلات البناء المدرسي جزءا كبيرا من اهتمامه ، بتقديم عدد كبير اخر من الوثائق النافعة غاية النفع .

وادلى المهندسون البولونيون المقيمون فى الخارج جهدهم فى هذه الحملة ايضا وذلك اما بالاشتراك فى المسابقة او ــ كما صنع المهندسون المقيمون بلندن ــ بان ارسلوا باسمهم وأسم زملائهم الانجليز ١٤ مشروعا مرفقة بجميع الوثائق الفنية اللازمة .

فاما مهندسو بولونيا فقد تعهدوا بتصميم خطط المدارس دون مقابل واتحادهم دائم الاتصال بجميع الهيئات المشتركة فى تشييد الابنية المدرسية . كما انه يشارك عدا ذلك فى اعمال لجنة البناء المدرسي التابعة للاتحاد الدولي للمهندسين مما يتيح له فرصة الحصول على احدث المعلومات المتصلة بكل ما يجد فى العالم فى هذا الميدان .

كذلك اتجه الاتحاد الى منظمة اليونسكو من اجل الحصول على الوثائق الوافية المتعلقة بالتعمير المدرسي فى البلاد التي انتهت من حل هذه المشكلة .

ان حملة « الالف مدرسة » تسير منذ الان فى الطريق الصحيح . فما ان اتى الاول من سبتمبر سنة ١٩٥٩ ــ وهو اليوم الذي يوافق نشوب الحرب العالمية الثانية مثيرا فى النفوس امر الذكريات ــ حتى فتحت كثير من المدارس الجديدة ابوابها لكي تستقبل للمرة الاولى ابناء الجيل الحديث الذين يبدأون اليوم دراساتهم والذين سوف تقع على عاتقهم مهمة تشييد عالم الغد .

تادوس باروكي